المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه وتطبيقاته عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

إعداد

د. خلود شاكر فهيد العبدلي

أستاذ مساعد – كلية الشريعة والأنظمة – قسم القراءات

ملخص البحث

جاءت هذه الدراسة لتبرز أهمية معرفة "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" في التفسير، والترجيح، والاختيار، وتضعيف بعض الأقوال التفسيرية، وردِّ الأقوال الباطلة من وجه، ولتبين مكانة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب من وجه آخر، فهي بهذا تحقق الجدة في بابها، فرغم عناية ابن القيم بهذا الأصل من أصول التفسير إلا أنه لم يفرد بالبحث والدراسة.

يهدف البحث إلىٰ:

١ -بيان هذا الأصل من أصول التفسير، وأهميته، مع الكشف عن صيغه الدالة عليه.

٢ - إبراز جهود ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكشف عن معهود القرآن، والاستدلال به.

٣- بيان أثر معرفة معهود القرآن عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال تطبيقاته له في التفسير، والترجيح، والاختيار، وتضعيف أقوال المفسرين، ورد الأقوال الباطلة.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والوصفي.

وقد جاء البحث في تمهيد، وثلاثة مباحث:

١ - تعريف "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه"، وأهمية معرفته.

٢ -الصيغ الدالة عليه عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

٣- تطبيقاته عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

أهم النتائج:

١ - المراد بالمعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه: ما عُرِفَ متكرراً في القرآن الكريم من المعاني والأساليب، مُطَّرِدا كان، أو أغلبيا.

٢ - ظهرت أهمية معرفة معهود القرآن عند ابن القيم في كونه أصلا من أصول التفسير، وفي الاستدلال به في الترجيح والاختيار، وتضعيف الأقوال التفسيرية، ورد الأقوال الباطلة المخالفة للمعهود.

٣- مما يدل علىٰ عناية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمعهود القرآن ورود كثير من الصيغ الدالة عليه في مؤلفاته، فيذكره تارة بصيغة واحدة، وتارة يذكر في الموضع الواحد صيغتين.

وأوصىٰ البحث بتوصيتين:

١- استقراء جميع مواطن معهود القرآن عند ابن القيم في رسالة علمية.

٢- دراسة معهود القرآن عند من عني به كالشنقيطي، وابن عاشور، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

الكلمات الدلالية (المفتاحية):

أصول التفسير، معهود القرآن، أساليب القرآن، ابن القيم، قواعد الترجيح.

* * *

المقدمة

الحمد لله علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وبعد:

"فإن للقرآن عرفًا خاصًا ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه؛ فإن نسبة معانيه إلىٰ المعاني كنسبة ألفاظه إلىٰ الألفاظ بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها، ولها من الفصاحة أعلىٰ مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين؛ فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها؛ فلا يجوز تفسيرها بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم وأجل وأفخم"[(١)].

وحمل معاني القرآن علىٰ المعهود من معانيه وأساليبه أصل من أصول التفسير؛ لأن الاستدلال بالمعهود من استعمال القرآن الكريم في التفسير صورة تطبيقية لتفسير القرآن بالقرآن، فهي بهذا تعد أصلا من أصول التفسير.

كما يستفاد من معرفة معهود القرآن في ترجيح[(٢)]، واختيار، وتضعيف بعض الأقوال التفسيرية، ورد الباطل من الأقوال.

وإن لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ اليد الطولىٰ والقدح المعلىٰ في الكشف عن اصطلاحات القرآن وطرائقه المعهودة ، فقد أبدع وأمتع في بيان أسرار التنزيل، ولطائف المعاني ودقائق التأويل، وجانب عادات القرآن عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتوظيفها ظاهرة هامة بارزة، تجلىٰ فيها نفس ابن القيم التفسيري البارع[(٣)].

ونظراً لأهمية هذا النوع من الدراسة في إبراز أهمية الاستدلال بـ"المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" في التفسير، والترجيح، والاختيار، وتضعيف بعض

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ٥٣٨.

(٢) "حمل معاني كلام الله علىٰ الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولىٰ" قاعدة من قواعد الترجيح، انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين الحربي: ١/ ١٧٢، وفصول في أصول التفسير: ١١٣. وهو قاعدة تفسيرية؛ لأن كل قاعدة ترجيح هي قاعدة تفسير، وليس كل قاعدة تفسير قاعدة ترجيح.

(٣) انظر: كليات الألفاظ في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية، د. بريك القرني: ٢/ ٨٣٢.

الأقوال التفسيرية من وجه، وفي إبراز مكانة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب من وجه آخر عزمت علىٰ البحث في موضوع جعلت عنوانه:

"المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه"، وتطبيقاته عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

أهمية البحث وأسباب اختياره:

إن من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع أهميته، والتي تبرز في أمور:

١- أن من أبرز أصول التفسير معرفة المعهود من معاني القرآن وأساليبه، إذ لا يجوز تفسير القرآن بغير المعهود من معانيه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، إلىٰ أن قال: فهو أصل من أصول التفسير، بل هو أهم أصوله[1].

٢- أن الاستدلال بالمعهود من معاني القرآن وأساليبه في التفسير هو صورة تطبيقية لتفسير القرآن بالقرآن.

٣- عناية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمعهود من معاني القرآن وأساليبه عناية عظمىٰ، واستدلاله بها في التفسير، والترجيح، والاختيار، وتضعيف أقوال المفسرين، ورد الأقوال الباطلة.

فابن القيم رائد في هذه الطريقة كما هو كذلك في استقراء القرآن، فهو بحق إمام متفرد في في كشف أسرار التنزيل، ومعرفة طرائق القرآن المعهودة في خطابه وتوجيهاته ومعانيه[2].

٤- جدة هذا الموضوع، فرغم عناية ابن القيم بهذا الضابط المهم من ضوابط التفسير إلا أنه لم يفرد بالبحث.

أهداف البحث:

١- بيان أهمية هذا الأصل من أصول التفسير وهو معرفة المعهود من معاني

(١) انظر: بدائع الفوائد: ٣/ ٥٣٨.

(٢) انظر: كليات الألفاظ في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية، د. بريك القرني: ١/ ٨٣.

القرآن الكريم وأساليبه.

٢- إبراز جهود ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وطرائقه وأساليبه في الكشف عن المعهود من معاني القرآن وأساليبه، وذلك من خلال بيان الصيغ الدالة علىٰ المعهود من الخطاب القرآني، وكيفية استدلاله به.

٣- بيان أثر معرفة المعهود من معاني القرآن وأساليبه عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال تطبيقاته له في التفسير، والترجيح، والاختيار، وتضعيف أقوال المفسرين، ورد الأقوال الباطلة.

حدود البحث:

عني البحث بجمع كل ما يدل علىٰ عناية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه[1]، من حيث ذكر تطبيقاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمعهود القرآن، وأوجه استدلاله بها في التفسير، والترجيح، والاختيار وتضعيف أقوال المفسرين، ورد الأقوال الباطلة. وكذلك بيان صيغه الصريحة الدالة عليه، أما ما يُفهم من كلامه من معهود القرآن، ولم يُصرح به فلم أتعرض له[2].

الدراسات السابقة:

لم أقف علىٰ دراسة أفردت (المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه،

(١) حاولت قدر استطاعتي قبل البدء بالبحث استقراء جميع المواطن ليتبين لي عناية ابن القيم بهذه القاعدة، ولتظهر لي اصطلاحاته الدالة عليها، واستدلالاته بها، والبحث لا يلتزم بدراسة جميع مواطن المعهود من استعمال القرآن الكريم عند ابن القيم، بل المقصود النظر في كل ما يحقق أهداف البحث.

(٢) كقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في قول الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢]-: (في الآية قولان: أحدهما: أن المعنىٰ فهلاَّ نفر من كل فرقة طائفة تتفقه وتنذر القاعدة، فيكون المعنىٰ في طلب العلم، وهذا قول الشافعي، وجماعة من المفسرين، واحتجوا به علىٰ قبول خبر واحد؛ لأن الطائفة لا يجب أن تكون عدد التواتر. والثاني: أن المعنىٰ: فلولا نفر من كل قرية طائفة تجاهد؛ لتتفقه القاعدة، وتنذر النافرة للجهاد إذا رجعوا إليهم، ويخبرونهم بما نزل بعدهم من الوحي، وهذا قول الأكثرين، وهو الصحيح؛ لأن النفير إنما هو الخروج للجهاد). إعلام الموقعين: ٢/ ٢٥٢. يعني أن المعهود في القرآن من معنىٰ النفير هو الجهاد.

وتطبيقاته عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ) بالبحث، وإن كانت بعض الدراسات عنيت بالحديث عن عادات القرآن وعرفه، مثل:

١- رسالة الدكتوراه المعنونة بـ "عادات القرآن الأسلوبية دراسة تطبيقية"، للدكتور راشد الثنيان[١].

٢- رسالة الدكتوراه المعنونة بـ: "عرف القرآن والمعهود من معانيه واستعمالاته، وأثره في الترجيح الدلالي، دراسة تأصيلية وتطبيقية"، للدكتور أحمد فالح الخالدي[٢].

٣- رسالة الماجستير المعنونة بـ "كليات الألفاظ في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية"، للدكتور بريك القرني[٣].

ومن الرسائل التي ذكرت هذا الأصل أو أشارت إليه:

رسالة الماجستير المعنونة بـ: "القواعد التفسيرية عند الإمام ابن قيم الجوزية"، للدكتور عبد الباسط فهيم[٤].

ورسالة الدكتوراه: "اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير دراسة وموازنة من سورة الفاتحة إلىٰ آخر سورة الإسراء" للدكتور محمد بن عبد الله القحطاني، ورسالة الدكتوراه: "اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير دراسة وموازنة من أول سورة الكهف إلىٰ آخر القرآن الكريم"، للدكتور محمد بن عبد الله الوزره[٥].

وكل هذه الرسائل وغيرها أفاد منها البحث بلا شك، لكن ما يميز هذا البحث عن غيره أن مقصوده الأول بيان المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ خاصة، بجمع صيغه الدالة عليه، وبيان تطبيقاته عنده.

(١) المقدمة لقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٣٢هـ، وهي مطبوعة.
(٢) المقدمة لقسم أصول الدين بكلية الشريعة في جامعة اليرموك عام ٢٠٠٧م/ ٢٠٠٨م.
(٣) المقدمة لقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢٤هـ، وهي مطبوعة.
(٤) المقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤٣١هـ.
(٥) المقدمتان لقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢٩هـ/ ١٤٣٠هـ.

مشكلة البحث:

موضوع الدراسة حول أصل من أصول التفسير المؤثرة في مجالات التفسير المتعددة: في الترجيح، والاختيار، وتضعيف الأقوال التفسيرية، ورد الباطل من الأقوال. وهذا البحث يجيب عن أسئلة هامة هي:

- ما منزلة هذا الأصل، وما أهميته؟
- ما هي جهود ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العناية بالمعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه ؟
- ما هي صيغ المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟
- ما هو منهج الإمام ابن القيم في توظيف هذا الأصل في مجالات التفسير المتعددة، وما هي تطبيقات المعهود من الخطاب القرآني عنده؟

منهج البحث وإجراءاته:

يقتضي المنهج العلمي اتباع جملة من المناهج البحثية:

- المنهج الاستقرائي: ويظهر في تتبع الصيغ الدالة علىٰ المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وذلك من خلال مؤلفاته المطبوعة[1].
- المنهج التحليلي: في بيان تطبيقات المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وكذلك هو منهج متبع في جل مباحث البحث.
- المنهج الوصفي: في بيان التعريفات الواردة في البحث.

هذا، مع عزو الآيات، وتوثيق النقول من مصادرها، والترجمة لمن يلزم من الأعلام.

خطة البحث:

انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتفصيلها علىٰ النحو التالي:

(١) والاستئناس بكتاب: بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه: يسرىٰ السيد محمد؛ لأنه أوفىٰ الكتب المطبوعة الجامعة لتفسير ابن القيم.

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدود البحث، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، ومنهجه، وخطته.

تمهيد: وفيه ترجمة موجزة لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

المبحث الأول: تعريف "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه"، وأهمية معرفته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه".

المطلب الثاني: أهمية معرفة "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه".

المبحث الثاني: الصيغ الدالة على "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

المبحث الثالث: تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه"عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه"عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير.

المطلب الثاني: تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه"عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الترجيح والاختيار.

وفيه قسمان:

القسم الأول: تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الترجيح.

القسم الثاني: تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاختيار.

المطلب الثالث: تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تضعيف أقوال المفسرين.

المطلب الرابع: تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رد الأقوال الباطلة.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج، والتوصيات.

هذا، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا متقبلا، وأن يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل.

❊ ❊ ❊

التمهيد: ترجمة موجزة لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1]

اسمه ولقبه:

هو شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حَرِيْز الزُّرَعي، الدمشقي، الحنبلي. ويُلقب بابن القيِّم، أو ابن قيِّم الجوزية، والقيِّم: اختصار لقيِّم الجوزية، فقد كان والده قيِّما علىٰ مدرسة الجوزية بدمشق.

مولده ونشأته:

ولد في قرية زُرَع بدمشق، في السابع من صفر من سنة إحدىٰ وتسعين وستمائة للهجرة.

وقد نشأ في كنف والده العالم في بيت علم ودين وزهد؛ فنهل من علومه، وتأدب بأدبه، حتىٰ اجتمع له خلق حميد مع علم وعبادة وزهد، وذكاء وفطنة.

طلبه للعلم ورحلاته:

بدأ طلب العلم صغيرا وهو لم يتجاوز السنة السابعة من عمره، يدل علىٰ هذا أنه حصل له السماع من شيخه الشهاب العابر (ت: ٦٩٧هـ)[2] أي أن ابن القيم درس عليه ولم يتم ست سنوات.

وقد رحل ابن القيم رحلات عدة، منها: إلىٰ بيت المقدس، وبعلبك، ومصر، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة.

شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ طويلا علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، فلازمه قرابة سبعة عشر عامًا.

ومن أبرز شيوخه أيضًا:

(١) ينظر في ترجمته: البداية والنهاية، لابن كثير: ١٤/ ٢٣٤-، والذيل علىٰ طبقات الحنابلة لابن رجب: ٥/ ١٧٠-، وبغية الوعاة للسيوطي: ١/ ٦٢-، والدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ٢١-، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٦/ ١٦٨-.

(٢) هو أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن النابلسي، فقيه، إمام لا يدرك شأوه في علم التعبير، ذكره ابن رجب في عداد شيوخ ابن القيم. انظر: الذيل علىٰ طبقات الحنابلة: ٥/ ١٧١.

والـده قـيِّم الجوزيـة (ت: ٧٢٣هـ)، ومحمـد شـمس الـدين البعلبكـي (ت: ٧٠٩هـ)[١]، وإسماعيل مجد الدين الحرَّاني (ت: ٧٢٩هـ)، ، والحافظ المزي (ت: ٧٤٢هـ)، وابن مفلح (ت: ٧٦٣هـ)، وغيرهم.

أما تلاميذه فكثر، منهم:

ابنـه عبـد الله جمـال الـدين (ت: ٧٥٦هـ)[٢] الـذي أخـذ عنـه، ونهـج منهجـه، وكذلك الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، وابـن رجـب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، ومحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، وغيرهم كثر.

مكانة ابن القيم في التفسير:

برع ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أنواع من العلوم، وقد شهد بنبوغه في علم التفسير كثير من العلماء، ومن ذلك قول ابن رجب: (وكان عارفا بالتفسير لا يُجارىٰ فيه)، إلىٰ أن قال: (ولا رأيت أوسع منه علما، ولا أعرف بمعاني القـرآن والسـنة وحقـائق الإيمـان منه)[٣]، وقال عنه السيوطي: (وصنف، وناظر، واجتهد، وصار مـن الأئمـة الكبـار في التفسير، والحديث، والفروع، والأصلين، والعربية)[٤]. ولـه آثـار تفسـيرية عظيمـة[٥] كالتبيان في أقسام القرآن، وغيره.

مؤلفاته:

توفي ابن القيم وقد ترك مؤلفات وتصانيف كثيرة بلغت سبعة وتسعين مؤلفا[٦].

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلبكي، الحنبلي، الفقيه، المحدِّث، اللغوي، النحوي، قرأ عليه ابـن القيم علوم العربية. انظر: بغية الوعاة للسيوطي: ١/ ٢٠٧.

(٢) كان علامة في الفقه، والنحو، وفنون أخرىٰ علىٰ طريقـة والـده، اشـتهر صيته، لـه شـرح علىٰ ألفيـة ابـن مالك سماه: "إرشاد السالك إلىٰ حل ألفية ابن مالك"، توفي وهو شاب. انظر: شذرات الـذهب، لابـن العماد الحنبلي: ٨/ ٣٥٧.

(٣) الذيل علىٰ طبقات الحنابلة: ٥/ ١٧١.

(٤) بغية الوعاة: ١/ ٦٣.

(٥) له كتاب "أصول التفسير"، وقد ذكره في كتابه: بدائع الفوائد: ٣/ ٥٣٨. ولـه: "تفسير أسـماء القـرآن الكريم"، و"تفسير سورة الفاتحة"، و"الرسالة الشـافية في أسـرار المعـوذتين"، انظـر: الـوافي بالوفيـات للصفدي: ٢/ ١٩٦.

(٦) انظر: ابن قيم الجوزية، حياته، آثاره، موارده، لبكر أبو زيد: ٩٩-.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الثالث عشر من شهر رجب، سنة إحدىٰ وخمسين وسبعمائة للهجرة، وقد كمُل له من العمر ستون عاما.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
تعريف "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه"، وأهمية معرفته

المطلب الأول: تعريف "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه".

لكي يظهر المراد من "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" يحسن قبل البدء بتعريفه تعريف مفرداته وأجزائه المكونة له.

المعهود في اللغة:

الذي عُهِد، وعُرِف[١].

والمعاني:

جمع معنىٰ، ومعنىٰ الكلام ومعناته واحد، تقول: عرفت ذلك في معنىٰ كلامه، وفي معناة كلامه، وفي معني كلامه[٢]. والمعنىٰ والتفسير والتأويل واحد، وعنيت بالقول كذا: أردت. ومعنىٰ كل كلام، ومعناته، ومعنيته: مقصده[٣].

والقرآن في اللغة:

اسم مشتق، علىٰ قول الجمهور[٤]، وأشهر الأقوال[٥] أنه مشتق من مادة: (قرأ) أي: تلا[٦].

في الاصطلاح:

كلام الله، المُنَزَّل علىٰ نبيه محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته[٧].

والأسلوب:

أجناس الكلام، وطرقه[٨]. وكل طريق ممتد فهو أسلوب، ويُجمع: أساليب،

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٣١٣، و مختار الصحاح للرازي: ١٩٢، مادة: (ع، هـ، د).
(٢) انظر: مختار الصحاح: ١٩٢، مادة: (ع، ن، ي).
(٣) انظر: لسان العرب: ١٥/ ١٠٦، مادة: (ع، ن، ي).
(٤) انظر: البرهان للزركشي: ١/ ٣٧٤، والاتقان للسيوطي: ١/ ١٧٠.
(٥) انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٧، ودراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي: ٢١.
(٦) انظر: لسان العرب: ١/ ١٢٨، مادة: (ق، ر، أ).
(٧) دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي: ٢٣.
(٨) انظر: الصحاح للجوهري: ٧/ ٢٧.

والأُسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب. والأُسلوب -بالضم-: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه[1].

مما سبق يمكن تعريف المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه بأنه:

ما عُرِفَ متكرراً في القرآن الكريم من المعاني والأساليب، مُطَّرِدا كان، أو أغلبيا.

فالمعهود من المعاني مثل:

❖ أغلب "وما أدراك" فقد أُخبر به وأعلم[2]. وهو أيضا مثال علىٰ المعنىٰ الأغلبي في القرآن.

❖ اطَّرد معنىٰ "النجوم" في القرآن علىٰ أنها الكواكب[3]. وهو أيضا مثال علىٰ المعنىٰ المُطَّرد في القرآن.

والمعهود من الأساليب مثل:

❖ من طريقة القرآن الاستدلال بالمبدأ علىٰ المعاد[4].

❖ من عُرف القرآن وعادته أن يقسم سبحانه في القرآن الكريم من كل جنس بأعلاه[5].

❖ جرت عادة القرآن بتهديد المخاطبين وتحذيرهم بما يذكره من صفاته التي تقتضي الحذر والاستقامة، كقوله: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٩][6].

❖ أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فيُذكر

(١) انظر: لسان العرب: ١/ ٤٧٣، مادة: (س، ل، ب).

(٢) ويستثنىٰ من ذلك أربعة مواضع: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾ [الحاقة: ٣]، و﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ ﴾ [المطففين: ٨]، و﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المطففين: ١٩]، و﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾ [البلد: ١٢]؛ لأنها لم تعقب ببيان بعدها. انظر: كليات الألفاظ في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية، د.بريك القرني: ٢/ ٥٥٧. وسيأتي لهذا تفصيل في ص٣٢٤ من هذا البحث.

(٣) المرجع السابق: ٢/ ٥٧٤.

(٤) التبيان في أقسام القرآن: ٦٥.

(٥) المصدر السابق: ٧٣.

(٦) بدائع الفوائد: ١/ ٨١.

فاعلها منسوبة إليه، ولا يبني الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدبا في الخطاب. كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٠] نسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلىٰ الله تعالىٰ، ولما جاء إلىٰ ذكر المرض قال: ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ ﴾ ولم يقل أمرضني، وقال: ﴿ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[(١)].

ويسمىٰ المعهود من استعمال القرآن الكريم: عُرْف القرآن[(٢)]، وعادات القرآن[(٣)]، ولغة القرآن[(٤)] وطريقته، وغير ذلك[(٥)].

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٢٥٦.

(٢) هو: طريقة القرآن الكريم التي انفرد بها في استعمال الألفاظ والأساليب، والتي جاءت علىٰ نحو غالب، أو مطرد. انظر: عُرف القرآن والمعهود من معانيه واستعمالاته، وأثره في الترجيح الدلالي، دراسة تأصيلية وتطبيقية، د. أحمد الخالدي: ٣٣.

(٣) هي: ما كرره القرآن علىٰ طريقة واحدة، أو أغلبية؛ لدلالة خاصة. انظر: عادات القرآن الأسلوبية، د. راشد الثنيان: ١/ ٢٩.

(٤) يكون للفظ في القرآن نظائر، يُعرف معناه باطراد ذلك المعنىٰ في تلك النظائر، وعموم المعنىٰ لموارد استعمال ذلك اللفظ. انظر: حاشية مقدمة التفسير، ابن قاسم الحنبلي: ١١٦، ١١٧.

(٥) المتأمل في كتب التفسير يجد عبارات المفسرين الدالة علىٰ "المعهود من استعمال القرآن الكريم" كثيرة ومتنوعة، منها: عبارة: في سائر القرآن، وفي سائر الآيات، انظر: جامع البيان: ٨/ ٣٨١، وأيضا ١٤/ ٣٦١، والتفسير الكبير للرازي: ١٤/ ١٤٦، وعبارة: الغالب في القرآن، انظر: أضواء البيان: ٣/ ٢٩، وعبارة: شائع في القرآن، انظر: التحرير والتنوير: ١٨/ ٦٣.

المطلب الثاني
أهمية معرفة "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه"

تظهر أهمية معرفة المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه في **أمور عدة:**

أولها: أن معرفة المعهود من معانيه واستعمالاته وأساليبه ضابط من ضوابط التفسير[1] **المهمة التي لابد منها للمفسر حتىٰ يتمكن من تفسير القرآن والكشف عن معانيه بالطريقة الصحيحة.**

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): (ينبغي أن يُقصَد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يُذكر نظائر ذلك اللفظ، ماذا عني بها الله ورسوله؛ فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث، وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده، وهىٰ العادة المعروفة من كلامه)[2].

وقال الآمدي (ت: ٦٣١هـ)[3]: (يجب تنزيل كلام الشارع علىٰ عرفه؛ إذ الغالب منه أنه إنما يناطقنا فيما له فيه عرف بعرفه)[4].

فمعرفة المعهود من معاني القرآن واستعمالاته هو من مهمات التفسير، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): (يحق علىٰ المفسر أن يتعرف عادات القرآن من نظمه وكلمه...)[5].

وهو أصل من أصول التفسير، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ – مبينا أن الأصل النظر لطريقة القرآن ولغته وعرفه–: (بل للقرآن عرف خاص، ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفة والمعهود من معانية) إلىٰ أن ختم كلامه

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، أصوله وضوابطه، أ.د. علي العبيد: ٩٨.
(٢) مجموع الفتاوىٰ: ٧/ ١١٥.
(٣) هو أبو الحسن، سيف الدين، علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، الحنبلي، ثم الشافعي، فقيه أصولي، له تصانيف، منها: "إبكار الأفكار"، و"الإحكام في أصول الأحكام". انظر: شذرات الذهب، لابن العماد، (٧/ ٢٥٣).
(٤) الإحكام في أصول الأحكام: ٣/ ٢٠.
(٥) التحرير والتنوير: ١/ ١٢٢.

ببيان أهمية معرفة المعهود من معاني القرآن، فقال: (وسنزيد هذا إن شاء الله تعالىٰ بيانا وبسطا في الكلام علىٰ أصول التفسير فهذا أصل من أصوله بل هو أهم أصوله)[١].

وإذا عُرفت عادة القرآن فهي دليل استقرائي لا يخرج عنه معنىٰ الآية غالبا[٢]، وقد عدَّ الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) معهود القرآن أحد أنواع البيان، فقال: (ومن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك: الاستدلال علىٰ أحد المعاني الداخلة في معنىٰ الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل علىٰ عدم خروجه من معنىٰ الآية)[٣].

ثانيها: أهمية هذا الضابط في الترجيح والاختيار بين الأقوال التفسيرية، وكذا في تضعيف الأقوال التفسيرية المخالفة للمعهود من معاني القرآن وأساليبه.

إذا تنازع المفسرون في تفسير آية أو جملة أو لفظة من كتاب الله؛ فأولىٰ الأقوال بالصواب هو القول الذي يوافق استعمال القرآن في غير موضع النزاع، سواء أكان ذلك في الألفاظ المفردة، أو في التراكيب.

وسواء أكان ذلك الاستعمال استعمالا أغلبيا: بأن كان لموضع النزاع نظائر وقع فيها النزاع، ولكن الكثرة الكاثرة من الاستعمال هي مما اتفق علىٰ معناه. أو مُطَّردا: بأن يكون استعمالها في جميع مواردها في القرآن متفقا عليه، غير موضع الخلاف بأن يقول مفسر قولا في آية جميع نظائرها في القرآن علىٰ خلاف هذا القول. أو عادة في أسلوب القرآن[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)- وهو يتكلم عن تفسير التابعين-: (أما إذا أجمعوا علىٰ الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة علىٰ بعض، ولا علىٰ من بعدهم، ويُرْجع في ذلك إلىٰ لغة القرآن، أو

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ٥٣٧، ٥٣٨.
(٢) عادات القرآن الأسلوبية، د. راشد الثنيان: ١/ ٤٠.
(٣) أضواء البيان: ١/ ٣٧.
(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، د.حسين الحربي: ١/ ١٧٢.

السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك)[1].

ويدخل في لغة القرآن: الاستعمال القرآني، سواء أكان أغلبيا، أم كان مطَّردا، والمطَّرد يكون مصطلحا قرآنيا[2].

فيُرْجع فيما احتمل معان، ووقع في عبارة التابعين تباين إلىٰ لغة القرآن في ذلك؛ فإن اللفظ في القرآن يكون له نظائر يُعرف معناه باطِّراد ذلك المعنىٰ في تلك النظائر، وعموم المعنىٰ لموارد استعمال ذلك اللفظ[3].

ومن هنا تبرز أهمية معرفة المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه؛ لأنها مقدمة علىٰ مجرد النظر في المعاني اللغوية.

ثالثها: لا بد من الرجوع عند تفسير الآية لطريقة القرآن والمعهود من معانيه لئلا يحدث معنىٰ جديدا.

ومثال إحداث قول جديد مخالف لمعهود القرآن: تفسير الرزق بالوعد[4] في قوله تعالىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥].

فقيل: المراد بقوله تعالىٰ: ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: هذا الذي وعدنا به في الدنيا، فكأنهم لما وعدوا به في الدنيا قد رزقوه؛ لأن وعد الله متحقق الوقوع.

وهذا القول لم يرد عن السلف المتقدمين أولا، ولم يثبت أن الرزق يأتي بمعنىٰ الوعد، فهذا القول أنشأ معنىً جديداً للرزق، وأخرجه عن معناه المعروف في اللغة. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - منبهاً علىٰ خطورة مثل هذا المسلك-: (وكثير من هؤلاء ينشئ للفظ معنىٰ ثم يدعي إرادة ذلك المعنىٰ بلفظ النص من غير نظر منه إلىٰ

(١) مقدمة في أصول التفسير: ٩٦، ومجموع الفتاوىٰ: ١٣/ ٣٧٠.
(٢) شرح مقدمة في أصول التفسير، د. مساعد الطيار: ٢٩٤.
(٣) انظر: حاشية مقدمة التفسير، ابن قاسم الحنبلي: ١١٦، ١١٧.
(٤) انظر: تفسير المراغي: ١/ ٦٦.

استعمال ذلك اللفظ في المعنىٰ الذي عينه أو احتمال اللغة له . ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة علىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت ؛ فإن لم يكن ذلك معلوماً بوضع اللفظ لذلك المعنىٰ، أو عرف الشارع وعادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنىٰ، أو تفسيره له به وإلا كانت شهادة باطلة، وأدنىٰ أحوالها أن تكون شهادة بلا علم .)[١].[٢].

رابعها: أن في معرفة المعهود من معاني القرآن وأساليبه ردا للأقوال الباطلة من أهل البدع والأهواء:

فإن معرفة المعهود من معاني القرآن يغلق بابا كبيرا من أبواب التلاعب بمعاني القرآن الكريم ممن يحاول أن يُفسِّر القرآن وفقا لمذهبه الفاسد مستعينا باللغة وحدها، أو ينزله علىٰ أهوائه المذمومة[٣].

قال ابن القيم – في سياق ذكره لأنواع التأويل الباطل – : (اللفظ الذي اِطَّرد استعماله في معنىٰ هو ظاهر فيه، ولم يعهد استعماله في المعنىٰ المؤول، أو عهد استعماله فيه نادراً؛ فتأويله حيث ورد ، وحمله علىٰ خلاف المعهود من استعماله باطل؛ فإنه يكون تلبيساً وتدليساً يناقض البيان والهداية، بل إذا أرادوا استعمال مثل هذا في غير معناه المعهود حفوا به من القرائن ما يبين للسامع مرادهم به لئلا يسبق فهمه إلىٰ معناه المألوف)[٤].

* * *

(١) الوابل الصيب: ٤٥، ٤٦.

(٢) راجع تفصيل القول في هذه المسألة في بحث: "اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير دراسة وموازنة من سورة الفاتحة إلىٰ آخر سورة الإسراء" للدكتور محمد بن عبد الله القحطاني: ٢٩، ٣٠.

(٣) انظر: القواعد التفسيرية عند ابن قيم الجوزية، عبد الباسط فهيم: ١/ ٢٤٤.

(٤) الصواعق المرسلة: ١/ ١٩٦. الفصل الثاني وهو انقسام التأويل إلىٰ صحيح وباطل.

المبحث الثاني
الصيغ الدالة على "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

إن مما يدل علىٰ عناية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمعهود من استعمال القرآن الكريم ورود كثير من الاصطلاحات والصيغ الدالة عليه في مؤلفاته؛ فيذكر تارة صيغة واحدة، وتارة يذكر في الموضع الواحد صيغتين.

وفيما يلي بيان لتلكم الصيغ مع الأمثلة عليها:

أولا: الصيغ المنفردة الدالة علىٰ "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١ - **المعهود في القرآن.**

مثاله:

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

قال ابن القيم: (ومنه تسمية الجنة بدار السلام، وفي إضافتها إلىٰ السلام ثلاثة أقوال[١]:

أحدها : أنها إضافة إلىٰ مالكها السلام سبحانه[٢].

الثاني : أنها إضافة إلىٰ تحية أهلها ؛ فإن تحيتهم فيها سلام[٣].

الثالث : أنها إضافة إلىٰ معنىٰ السلامة، أي دار السلامة من كل آفة ونقص وشر[٤].

(١) انظر هذه الأقوال في: زاد المسير: ٤٦٧، وفيه زاد ابن الجوزي قولا رابعا: (أن جميع حالاتها مقرونة بالسلام)، وانظر: البحر المحيط: ٤/ ٢٨٤.

(٢) اقتصر علىٰ هذا القول الطبري في جامع البيان: ٩/ ٥٥٤.

(٣) انظر: معالم التنزيل: ٢/ ٣٥٠.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٦٦٢، والتحرير والتنوير: ٧/ ٤٨.

والثلاثة متلازمة، وإن كان الثالث أظهرها؛ فإنه لو كانت الإضافة إلىٰ مالكها؛ لأضيفت إلىٰ اسم من أسمائه غير السلام، وكان يقال: دار الرحمن، أو: دار الله، أو: دار الملك، ونحو ذلك. فإذا عُهِدت إضافتها إليه، ثم جاء دار السلام حملت علىٰ المعهود .

وأيضاً؛ **فإن المعهود في القرآن** إضافتها إلىٰ صفتها، أو إلىٰ أهلها.

أما الأول: فنحو دار القرار، دار الخلد، جنة المأوىٰ، جنات النعيم، جنات الفردوس.

وأما الثاني: فنحو دار المتقين.

ولم يُعهد إضافتها إلىٰ اسم من أسماء الله في القرآن؛ فالأولىٰ حمل الإضافة علىٰ **المعهود في القرآن**.

وكذلك إضافتها إلىٰ التحية ضعيف من وجهين:

أحدهما: أن التحية بالسلام مشتركة بين دار الدنيا والآخرة، وما يضاف إلىٰ الجنة لا يكون إلا مختصاً بها، كالخلد والقرار والبقاء.

الثاني: أن غير التحية من أوصافها أكمل، مثل كونها دائمة، وباقية، ودار الخلد، والتحيةُ فيها عارضة عند التلاقي والتزاور، بخلاف السلامة من كل عيب ونقص وشر؛ فإنها من أكمل أوصافها المقصودة علىٰ الدوام، التي لا يتم النعيم فيها إلا به؛ فإضافتها إليه أولىٰ، وهذا ظاهر)[1].

٢- المعهود من استعمال اللفظ في القرآن.

مثاله:

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١].

في المراد بالمرسلات أقوال[2]:

الأول: الرياح.

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣. وانظر كلامه أيضا في أحكام أهل الذمة: ١/ ٤١٧، ٤١٨.

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي: ٦/ ١٧٥، ١٧٦، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل: ٢٠/ ٦٠، ٦١.

الثاني: الملائكة.

الثالث: الأنبياء.

الرابع: السحاب.

الخامس: الزواجر والمواعظ المتتابعة والمعروفة في العقول.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - مُضَعِّفا قول من قال: هم الأنبياء-: (وأما إرسال الأنبياء فلو أريد لقال: والمرسلين، وليس بالفصيح تسمية الأنبياء مرسلات، وتكلف الجماعات المرسلات خلاف **المعهود من استعمال اللفظ، فلم يطلق في القرآن** جمع ذلك إلا جمع تذكير لا جمع تأنيث)[1].

٣- عُرْف القرآن:

مثاله:

❖ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١].

اُختلف في المراد بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ علىٰ قولين[2]:

الأول: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، والكتاب هنا: اسم جنس يشمل التوراة والإنجيل.

الثاني: أنهم المؤمنون من أصحاب النبي محمد ﷺ، والكتاب: هو القرآن.

وضعف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الثاني مستدلا بأن المعهود من القرآن يأباه، فقال: (اُختلف في الضمير في ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾، فقيل: هو ضمير الكتاب الذي أوتوه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويقرؤونه كما أنزل، ولا يحرفونه عن مواضعه[3]، قالوا: وأنزلت في مؤمني أهل الكتاب. وقيل: هذا

(١) التبيان في أقسام القرآن: ٩٠.

(٢) انظر القولين في: جامع البيان: ٢/ ٤٨٧، والمحرر الوجيز: ١٣٠،١٢٩، وزاد المسير: ٨٦، والبحر المحيط: ١/ ٥٣٢.

(٣) انظر: جامع البيان: ٢/ ٤٨٩، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٩١.

وصف للمسلمين، والضمير في ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ للكتاب الذي هو القرآن، وهذا بعيد؛ إذ **عُرْف القرآن** يأباه)[١].

❖ في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥].

اُختلف في نكاح الكتابيات المتمسكات بغير التوراة والإنجيل[٢] علىٰ قولين[٣]:

الأول: يجيز مناكحتهن.

الثاني: لا يجيز مناكحتهن.

وقد رجح القول الثاني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستدلا بالمعهود من القرآن في استعمال لفظ أهل الكتاب، فقال: - في فصل نكاح الكتابيات المتمسكات بغير التوراة والإنجيل-: (وأما قوله: إن الكتاب عام في قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ **فعُرْف القرآن** من أوله إلىٰ آخره في الذين أوتوا الكتاب أنهم أهل الكتابين خاصة، وعليه إجماع المفسرين، والفقهاء، وأهل الحديث)[٤].

❖ في قوله تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

اُختلف في المراد بالكفار في الآية علىٰ قولين[٥]:

الأول: هم الزراع.

الثاني: هم الكفار بالله.

---

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ١٠٣.

(٢) كزبور داوود، وصحف شيث، وإبراهيم عليهم السلام.

(٣) انظر: جامع البيان: ٨/ ١٤٦، وتفسير القرآن العظيم: ٣/ ٣٣١.

(٤) أحكام أهل الذمة: ٢/ ٨١٣.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ١٨٢٦، والبحر المحيط: ٨/ ٣١٦، والتحرير والتنوير: ٢٧/ ٣٦٤.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (والصحيح إن شاء الله أن الكفار هم الكفار بالله، وذلك **عُرْف القرآن** حيث ذكروا بهذا النعت في كل موضع، ولو أراد الزراع لذكرهم باسمهم الذي يعرفون به، كما ذكرهم به في قوله: ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ [الفتح: من الآية ٢٩]، وإنما خص الكفار به؛ لأنهم أشد إعجابا بالدنيا، فإنها دارهم التي لها يعملون ويكدحون، فهم أشد إعجابا بزينتها وما فيها من المؤمنين)[1].

٤- طريقة القرآن.

مثاله:

❖ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الصافات: ٧٨ - ٧٩].

في تفسير الآية قولان[2]:

الأول: أن السلام واقع من العالمين علىٰ نوح عليه السلام. وجملة: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ واقعة في محل نصب مفعول به.

الثاني: أن السلام واقع من الله علىٰ نوح عليه السلام. والجملة: ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - مُضَعِّفا القول الثاني-: (وهذا القول ضعيف لوجوه، وذكر منها:

أنه لو كان المفعول محذوفا كما ذكروه لذكره في موضع واحد ليدل علىٰ المراد منه حذفه، ولم يَطَّرد في جميع من أخبر أنه ترك عليه في الآخرين الثناء الحسن، **وهذه طريقة القرآن، بل** وكان فصيح أن يذكر الشيء في موضع ثم يحذفه في موضع آخر؛ لدلالة المذكور علىٰ المحذوف، وأكثر ما تجده مذكورا وحذفه قليل، **وأما أن يحذف حذفا مُطَّردا ولم يذكره في موضع واحد، ولا في اللفظ ما يدل عليه فهذا لا يقع في القرآن**...إلىٰ أن قال: (وتدبر هذه الطريقة في القرآن، وذكره للأهم

(١) عدة الصابرين: ١٤٢.

(٢) انظر: جامع البيان: ١٩/ ٥٦٢، والمحرر الوجيز: ١٥٨٠، والبحر المحيط: ٧/ ٤٨٥.

المقصود وحذفه)[١].

❖ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد اختلف في إضافة المقام إلىٰ الرب هل هي من إضافة المصدر إلىٰ فاعله أو إلىٰ مفعوله علىٰ قولين[٢]: أحدهما: أن المعنىٰ: ولمن خاف مقامه بين يدي ربه، فعلىٰ هذا هو إضافة المصدر إلىٰ المفعول، والثاني: أن المعنىٰ ولمن خاف مقام ربه عليه واطلاعه عليه، فهو من باب إضافة المصدر إلىٰ فاعله...وقد يقال: الراجح هو الأول، وأن المعنىٰ خاف مقامه بين يدي ربه).

فرجَّح ابن القيم هذا لوجوه، وذكر منها: (**أن طريقة القرآن** في التخويف أن يخوفهم بالله وباليوم الآخر، فإذا خوفهم به علق الخوف به لا بقيامه عليهم، كقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾ [آل عمران: من ١٧٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: من ٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: من ٥٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك: ١٢]، ففي هذا كله لم يذكر خشية مقامه عليهم، وإنما مدحهم بخوفه خشيته. وقد يذكر الخوف متعلقا بعذابه كقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: من ٥٧]، وأما خوف مقامه عليهم فهو وإن كان كذلك **فليس طريقة القرآن**)[٣].

٥- عادة القرآن.

مثاله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...**جرت عادة القرآن** بتهديد المخاطبين وتحذيرهم بما يذكره من صفاته التي تقتضي الحذر والاستقامة، كقوله: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، وقوله: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا

(١) جلاء الأفهام: ٤٥٨-٤٦٠.

(٢) انظر القولين في: المحرر الوجيز: ١٨٠٤، وزاد المسير: ١٣٨١، والبحر المحيط: ٨/ ٢٧٨.

(٣) طريق الهجرتين: ٦٢٨، ٦٢٩.

بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [النساء: ١٣٤]، والقرآن الكريم مملوء من هذا...)[1].

٦- عادة خطاب القرآن.

مثاله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

أُختلف في قوله تعالىٰ: ﴿ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ علىٰ قولين[2]:

الأول: من غير أهل ملتكم.

الثاني: من غير حيكم وعشيرتكم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقد تأول قوم الآية تأويلات باطلة، فمنهم من قال: كلها في المسلمين، وقوله: ﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ يعني: من غير قبيلتكم، وهذا باطل؛ فإن الله افتتح الخطاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، ثم قال: ﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾، ومعلوم أن غير المؤمنين هم الكفار، ولم يخاطب الله سبحانه بهذه الآية قبيلة دون قبيلة، بل الخطاب بها علىٰ **عادة خطاب القرآن** لعموم المؤمنين)[3].

٧- جرت عادته سبحانه باستعمال لفظ كذا في كذا في جميع القرآن.

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٧٦]

اختلف المفسرون في المراد بالنجوم ومواقعها علىٰ قولين[4]:

(١) بدائع الفوائد: ١/ ٨١.

(٢) انظر: جامع البيان: ٩/ ٦١-٦٧ ، وفيه رجح الطبري القول الأول وقال عن الثاني: لا وجه له.
وانظر أيضاً: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٩٩.

(٣) حاشية ابن القيم: ١٠/ ١١.

(٤) انظر: جامع البيان: ٢٢/ ٣٥٩-٣٦١، والمحرر الوجيز: ١٨١٥، ١٨١٦، وزاد المسير: ١٣٩٢.

الأول: هي آيات القرآن، ومواقعها: نزولها نجوما، أي: مفرقًا.

الثاني: النجوم هي الكواكب، ومواقعها: مساقطها عند غروبها.

قال ابن القيم- مُرَجِّحا القول الثاني-: (وأظهر القولين: أنه قسم بمواقع هذه النجوم التي في السماء؛ فإن اسم النجوم عند الإطلاق إنما ينصرف إليها. وأيضا: **فإنه لم تجر عادته سبحانه باستعمال النجوم في آيات القرآن، ولا في موضع واحد من كتابه حتىٰ تحمل عليه هذه الآية، وجرت عادته باستعمال النجوم في الكواكب** في جميع القرآن. وأيضا: فإن نظير الإقسام بمواقعها هنا إقسامه بهوي النجم في قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم: ١]. وأيضا: فإن هذا قول جمهور أهل التفسير. وأيضا فإنه سبحانه يقسم بالقرآن نفسه لا بوصوله إلىٰ عباده، هذه **طريقة القرآن**، قال الله تعالىٰ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [ص: ١]، ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ١ - ٢]، ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: ١]، ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف: ١ - ٢])[1].

٨- لفظ كذا حيث وقع في القرآن فالمراد منه كذا.

مثاله:

الآيتان السابقتان من سورة الواقعة أيضا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ويُرجِّح هذا القول أيضا أن النجوم **حيث وقعت في القرآن** فالمراد منها الكواكب، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾ [الطور: من الآية]، وقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٤])[2].

٩- لغة القرآن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ويستفاد التحريم من النهي، والتصريح بالتحريم والحظر، والوعيد علىٰ الفعل، وذم الفاعل، وإيجاب الكفارة بالفعل، وقوله: لا

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ١٩٧.

(٢) التبيان في أقسام القرآن: ١٣٧.

ينبغي فإنها في **لغة القرآن**، والرسول للمنع عقلا أوشرعا)[1].

يعني: أن الأسلوب المكون من لفظة (ينبغي) المسبوقة بالنفي بـ (لا)، أو (ما) اِطَّرد استعماله في كلام الله تعالىٰ للدلالة علىٰ أحد نوعي الامتناع: الشرعي، والعقلي[2].

١٠ - اِطَّرد في كلام الله استعمال كذا في كذا.

مثاله:

❖ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقد **اِطَّرد** في كلام الله ورسوله استعمال (لا ينبغي) في المحظور شرعا أو قدرا في المستحيل الممتنع)[3].

❖ وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ [الماعون: ٤ - ٥]- (فالوعيد بالويل **اِطَّرد** في القرآن للكفار، كقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ﴾ [فصلت: ٦])[4].

١١ - المعروف في القرآن.

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ۝١١٣ ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٩٩ ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

رجَّح ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المراد بأهل الكتاب الذين أثنىٰ الله ﷻ عليهم في

(١) بدائع الفوائد: ٤/ ٨١٠.

(٢) انظر: القواعد التفسيرية عند ابن قيم الجوزية، عبد الباسط فهيم: ٢/ ١٢٤.

(٣) إعلام الموقعين: ٤٣.

(٤) الصلاة وحكم تاركها: ٥٥.

الآيتين السابقتين من بقي علىٰ دين أهل الكتاب الصحيح؛ فقال: (ومن هؤلاء[١] النجاشي الذي صلىٰ عليه رسول الله ﷺ؛ فإنه كان ملك نصارىٰ الحبشة، وكان في الباطن مؤمنا. وقد قيل: إنه وأمثاله هم الذين عناهم الله ﷻ بقوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ آل عمران: [١١٣ - ١١٤]؛ فإن هؤلاء ليس المراد بهم المتمسك باليهودية والنصرانية بعد بعث النبي ﷺ قطعا؛ فإن هؤلاء قد شهد لهم بالكفر، وأوجب لهم النار، فلا يثنىٰ عليهم بهذا الثناء. وليس المراد به من آمن من أهل الكتاب ودخل في جملة المؤمنين وباين قومه، فإن هؤلاء لا يطلق عليهم أنهم من أهل الكتاب إلا باعتبار ما كانوا عليه، وذلك الاعتبار قد زال بالإسلام، واستحدثوا اسم المسلمين والمؤمنين. وإنما يطلق الله سبحانه هذا الاسم علىٰ من هو باق علىٰ دين أهل الكتاب[٢]. **هذا هو المعروف في القرآن** كقوله تعالىٰ:

(١) أي: الذين آمنوا باطنا، ولم يظهروا إيمانهم.

(٢) قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وإنما يطلق الله سبحانه هذا الاسم علىٰ من هو باق علىٰ دين أهل الكتاب. هذا هو المعروف في القرآن) صحيح إذا أطلق هذا الاسم، أما إذا قيد بأوصاف تخص هذا الاسم العام ببعض أقسامه فلا؛ لأن الله قد وصفهم بصفات تدل علىٰ أنهم مؤمنون بالنبي محمد ﷺ، فوجب اعتبار هذه الصفات التي خصصت عموم اللفظ. انظر: اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير – دراسة وموازنة، للقحطاني: ٣١٤. فقصر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآية علىٰ طائفة قليلة من أهل الكتاب، مما لا يتفق مع عمومها، وهو بهذا خالف ما هو معروف عند المفسرين؛ إذ أكثر المفسرين علىٰ أن المقصود بالمدح في الآيتين هم الذين ءامنوا من أهل الكتاب، قال ابن العربي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٣]: (وقد اتفق المفسرون أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب وعليه يدل ظاهر القرآن). أحكام القرآن: ١/ ٣٢٣. وهو ما ذهب إليه ابن جرير الطبري، وابن كثير، انظر: جامع البيان: ٥/ ٦٩١، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٤٠٦.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٠]، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٥]، ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٤])[1].

١٢ - الغالب في القرآن، بل المطرد.

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٩].

اُختلف في المراد بالقوم في قوله تعالىٰ: ﴿ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا ﴾ علىٰ أقوال[2]:

الأول: الأنبياء.

الثاني: أهل المدينة والأنصار.

الثالث: الملائكة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقد قيل: إن هؤلاء القوم هم الأنبياء، وقيل: أصحاب رسول الله، وقيل: كل مؤمن. هذه أمهات الأقوال بعد أقوال متفرعة عن هذه، ... وأما قول من قال: إنهم الملائكة فضعيف جدا لا يدل عليه السياق وتأباه لفظة (قوما) إذ **الغالب في القرآن**، بل المطرد تخصيص القوم ببني آدم دون الملائكة...)[3].

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: ٣١.

(٢) انظر: جامع البيان: ٩/ ٣٨٨-٣٩٠، وزاد المسير: ٤٥٢، والبحر المحيط: ٤/ ٢٢٧.

(٣) مفتاح دار السعادة: ١/ ١٦١.

١٣- وهو نظير (يعني: نظير هذا في القرآن) .

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

اُختلف من مرجع الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿ زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾، و﴿ دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ علىٰ قولين[١]:

الأول: مرجع الضمير علىٰ ﴿ مَن ﴾، والمعنىٰ: أفلح من زكىٰ نفسه، وقد خاب من دساها.

الثاني: الضمير يرجع إلىٰ الله تعالىٰ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (المعنىٰ: قد أفلح من زكىٰ نفسه، وقد خاب من دساها، هذا القول هو الصحيح، **وهو نظير** قوله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ ﴾ [الأعلىٰ: ١٤]، وهو سبحانه إذا ذكر الفلاح علقه بفعل المفلح، كقوله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢] إلىٰ آخر الآيات، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ البقرة: [٣ - ٥]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١ ﴾ [النور: ٥١] **ونظائره)**[٢].

وقد يذكر ابن القيم المعهود بلفظ النفي فيقول: ولا نظير لمعناه في القرآن، أو لا عهد ذلك في القرآن، ولم يُعرف القسم في القرآن بكذا، ولم يَرِد في القرآن إلا بمعنىٰ كذا، وهذا بيانه:

١٤- لا نظير لمعناه في القرآن.

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ [طه: ٥٠].

---

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤/ ٤٤٣-٤٤٥، والمحرر الوجيز: ١٩٨٣، وزاد المسير: ١٥٥٦، والبحر المحيط: ٨/ ٦٧٥.

(٢) التبيان في أقسام القرآن: ١٤.

في الآية أقوال[1]:

الأول: أعطىٰ كل شيء خلقه وصورته، لم يعط الإنسان خلق البهائم ولا البهائم خلق الإنسان، ثم هداه إلىٰ منافعه.

الثاني: أعطىٰ كل شيء خلقه، أعطىٰ اليد البطش، والرجل المشي، واللسان النطق، والعين البصر، والأذن السمع.

الثالث: أعطىٰ الرجل المرأة، والبعير الناقة، والذكر الأنثىٰ من جنسه. والمعنىٰ: أعطىٰ الذكر الأنثىٰ مثل خلقه، ثم هدىٰ إلىٰ الجماع.

الرابع: أعطىٰ كل شيء ما يصلحه، ثم هداه له.

قال ابن القيم - عن القول الأول-: وأقوال أكثر المفسرين تدور علىٰ هذا المعنىٰ... والمعنىٰ أعطاه من الخلق والتصوير ما يصلح به لما خلق له، ثم هداه لما خلق له وهداه لما يصلحه في معيشته ومطعمه ومشربه ومنكحه وتقلبه وتصرفه، هذا هو القول الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين، فيكون نظير قوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [الأعلىٰ: ٣]. ثم ردَّ القول الثالث لأنه **لا نظير لمعناه في القرآن**، فقال: (أرباب هذا القول هضموا الآية معناها، فإن معناها أجل وأعظم مما ذكروه، وقوله: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ يأبىٰ هذا التفسير، فإن حمل كل شيء علىٰ ذكور الحيوان وإناثه خاصة ممتنع لا وجه له، وكيف يخرج من هذا اللفظ الملائكة، والجن، ومن لم يتزوج من بني آدم، ومن لم يسافد من الحيوان، وكيف يسمىٰ الحيوان الذي يأتيه الذكر خلقا له، **وأين نظير هذا في القرآن**، وهو سبحانه لما أراد التعبير عن هذا المعنىٰ الذي ذكروه ذكره بأدل عبارة عليه وأوضحها، فقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ ﴾ [النجم: ٤٥] فحمل قوله: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾ علىٰ هذا المعنىٰ غير صحيح فتأمله)[2]. وقال عن القول الثاني: (وهذا المعنىٰ وإن كان صحيحا في نفسه،

(١) انظر: جامع البيان: ١٦/ ٧٩-٨٢، وزاد المسير: ٩٠٧، والجامع لأحكام القرآن: ١١/ ١٨٥، والبحر المحيط: ٦/ ٣٠٧، ٣٠٨،

(٢) شفاء العليل: ٧٨.

لكن معنىٰ الآية أعم، والقول هو الأول، وأنه سبحانه أعطىٰ كل شيء خلقه المختص به، ثم هداه لما خلق له، ولا خالق سواه سبحانه، ولا هادي غيره، فهذا الخلق وهذه الهداية من آيات الربوبية)[1].

١٥- ولا عهد في القرآن ذلك.

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٧٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وليس بالبيِّن تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوىٰ، ولا تسمية نزوله هويا، **ولا عهد في القرآن ذلك** فيحمل هذا اللفظ عليه)[2].

١٦- لم يُعرف القسم في القرآن بكذا.

مثاله:

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ [التكوير: ١٧ - ١٨]

في معنىٰ: ﴿ عَسۡعَسَ ﴾ قولان[3]:

الأول: أقبل.

الثاني: أدبر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - مختارا القول الثاني بمعهود القرآن-: (ومن رجَّح أنه إدباره احتج بقوله تعالىٰ: ﴿ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤ ﴾، فأقسم بإدبار الليل وإسفار الصبح، وذلك نظير عسعسة الليل وتنفس الصبح، قالوا: والأحسن أن يكون القسم بانصرام الليل وإقبال النهار؛ فإنه عقيبه من غير فصل، فهذا أعظم في الدلالة والعبرة بخلاف إقبال الليل وإقبال النهار، **فإنه لم يُعرف القسم في القرآن بهما**، ولأن بينهما زمنا طويلا، فالآية في انصرام هذا ومجيء الآخر عقيبه

(١) شفاء العليل: ٧٩.

(٢) التبيان في أقسام القرآن: ١٥٣.

(٣) انظر: جامع البيان: ٢٤/ ١٥٩-١٦٢، والمحرر الوجيز: ١٩٥٣، وزاد المسير: ١٥٢١.

بغير فصل أبلغ، فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وإدباره، وحالة قوة هذا وتنفسه، وإقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه، فكلما تنفس هرب الليل وأدبر بين يديه، وهذا هو القول والله أعلم)[1].

١٧ - لم يَرِد في القرآن إلا بمعنىٰ كذا.

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ [مريم: ٦٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فالشيعة: الفرقة التي شايع بعضها بعضا، أي: تابعه، ومنه الأشياع أي: الأتباع، فالفرق بين الشيعة والأشياع: أن الأشياع هم التبع، والشيعة القوم الذين شايعوا، أي: تبع بعضهم بعضا، وغالب ما يستعمل في الذم، **ولعله لم يرد في القرآن** إلا كذلك كهذه الآية[2]...)[3].

ثانيا: ما جمع فيه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين صيغتين من الصيغ الدالة علىٰ "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه".

١ - المعهود من طريقة القرآن.

مثاله:

قوله تعالىٰ: في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الطارق: ٥ - ٨].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن: ٧٥.

(٢) لم أجد في كتاب بدائع التفسير تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الصافات: ٨٣]، لأن شيعة فيها ليست للذم، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص: ١٥]، والذي يظهر أن هذين الموضوعين يخرجان من مواضع الذم؛ فيكون الحكم الذي ذكره ابن القيم أغلبيا لا مطردا؛ لأن لفظ: شيع، وشيعة ورد ٨ مرات في القرآن، منها ٦ مواضع في الذم، وهي: [الأنعام: ٦٥]، و [الأنعام: ١٥٩]، و [الحجر: ١٠]، و [مريم: ٦٩]، و [القصص: ٤]، و [الروم: ٣٢]، والله أعلم.

(٣) بدائع الفوائد: ١/ ١٦١، ١٦٢.

في مرجع الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿رَجْعِهِۦ﴾ قولان[١]:

الأول: أنه يعود إلىٰ الإنسان، ويكون المعنىٰ:

قادر علىٰ رده للحياة بعد موته.

أو علىٰ رده ماء كما كان قبل أن يخلقه منه.

أو رد الإنسان من حال الكبر إلىٰ حال الصغر.

الثاني: أنه يعود إلىٰ الماء، والمعنىٰ:

قادر علىٰ رد الماء إلىٰ الصلب، أو الإحليل.

أو حبس ذلك الماء فلا يخرج.

وقد رجَّح ابن القيم الأول، واستدل علىٰ ذلك بوجوه، منها قوله: (أنه هو **المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ علىٰ المعاد**).

وردَّ القول الثاني؛ لأنه لم يعهد في القرآن مثله، فقال: (أنه لم يأت لهذا المعنىٰ في القرآن نظير في موضع واحد، ولا أنكره أحد حتىٰ يقيم سبحانه الدليل عليه)[٢].

٢- عُرف المخاطِب، والمعهود في القرآن.

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ [الشورىٰ: ٢٤].

في معنىٰ: ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ﴾ قولان[٣]:

الأول: إن يشأ يربط علىٰ قلبك بالصبر علىٰ أذاهم حتىٰ لا يشق عليك.

الثاني: إن يشأ ينسك القرآن، ويقطع عنك الوحي.

رجَّح ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الثاني لوجوه، منها قوله: (الربط علىٰ قلب العبد

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤/ ٢٩٧، والمحرر الوجيز: ١٩٦٧، وزاد المسير: ١٥٣٥، والبحر المحيط: ٨/ ٦٤٠.

(٢) التبيان في أقسام القرآن: ٦٥.

(٣) انظر: المحرر الوجيز: ١٦٦٧، وزاد المسير: ١٢٦٨.

لا يقال له ختم علىٰ قلبه، ولا يعرف هذا **في عُرف المخاطب، ولا لغة العرب، ولا هو المعهود في القرآن، بل المعهود استعمال الختم علىٰ القلب في شأن الكفار في جميع موارد اللفظ في القرآن**، كقوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة: من الآية ٧]،وقوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية: من الآية ٢٣] ، ونظائره. وأما ربطه علىٰ قلب العبد بالصبر فكقوله: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[الكهف: من الآية ١٤]، وقوله: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص: ١٠]. والإنسان يسوغ له في الدعاء أن يقول: اللهم اربط علىٰ قلبي، ولا يحسن أن يقول: اللهم اختم علىٰ قلبي)[1].

٣- المعهود المطرد.

مثال:

قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

في المراد بالدعاء في الآية قولان:

الأول: دعاء العبادة، الذي يشمل نوعي الدعاء : دعاء السؤال والطلب، ودعاء الثناء والذكر[2].

الثاني: المراد به التسمية[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقيل: إن الدعاء ههنا بمعنىٰ التسمية،كقولهم: دعوت ولدي سعيدا، وادْعُه بعبد الله، ونحوه، والمعنىٰ: سمّوا الله أو سمّوا الرحمن؛ فالدعاء ههنا بمعنىٰ التسمية. وهذا قول الزمخشري (٥٣٨هـ). والذي حمله علىٰ

(١) التبيان في أقسام القرآن: ١١٦.

(٢) أكثر المفسرين لم يشر إلىٰ خلاف في معنىٰ الدعاء، بل اقتصر علىٰ تفسيره بالمعنىٰ الظاهر: انظر: جامع البيان: ١٥/ ١٢٣، وتفسير القرآن العظيم: ٥/ ١٢٨.

(٣) انظر: الكشاف: ٢/ ٦٤٥، والتفسير الكبير للرازي: ٢١/ ٥٩.

هذا قوله : ﴿ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الاسراء: ١١٠)؛ فإن المراد بتعدّد معنىٰ)أي) وعمومها ههنا تعدّد الأسماء ليس إلا، والمعنىٰ : أيّ اسم سميتموه به من أسماء الله تعالىٰ: إما الله، وإما الرحمن؛ فله الأسماء الحسنىٰ، أي : فللمُسمَّىٰ سبحانه الأسماء الحسنىٰ، والضمير في : ﴿ فَلَهُ ﴾ يعود إلىٰ المسمىٰ. فهذا الذي أوجب له أن يحمل الدعاء في هذه الآية علىٰ التسمية. وهذا الذي قاله هو من لوازم المعنىٰ المراد بالدعاء في الآية، وليس هو عين المراد، بل المراد بالدعاء معناه **المعهود المطرد في القرآن**، وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء[1]، ولكنه متضمن معنىٰ التسمية؛ فليس المراد مجرد التسمية الخالية عن العبادة والطلب، بل التسمية الواقعة في دعاء الثناء والطلب؛ فعلىٰ هذا المعنىٰ يصح أن يكون في "تدعوا" معنىٰ "تسموا"، فتأمله. والمعنىٰ : أيًّا ما تسموا في ثنائكم ودعائكم وسؤالكم، والله أعلم)[2].

٤- عُرف القرآن وعادته.

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾ [التكوير: ١٥ - ١٦].

رجَّح ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المقسم به هنا النجوم في الأحوال الثلاثة:

فخنوسها هو : اختفاؤها عن الأبصار في النهار .

وجريانها هو : مع جريان الشمس والقمر .

وكنوسها هو : ظهورها للأبصار في الليل في أماكنها.

ورد قول من فسرها بالظباء وبقر الوحش، فقال: (وليس قول من فسرها بالظباء

(١) ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من اِطِّراد استعمال الدعاء في القرآن بمعنىٰ دعاء السؤال والثناء فيه نظر؛ لأنه قد جاء في القرآن بمعنىٰ التسمية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًا ﴾ [النور: من ٦٣]، ومن استعماله في غير المعنىٰ المشهور قوله: ﴿ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا ٩١ ﴾ [مريم: من٩١] أي: جعلوا وسموا، أو قوله تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ [الأحزاب: من ٥]. انظر: اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير – دراسة وموازنة، للقحطاني: ٧٨٨.

(٢) بدائع الفوائد: ٣/ ٥١٦.

وبقر الوحش بالظاهر). وذكر وجوها لذلك منها الاستدلال بعرف القرآن وعادته في المقسم به، فقال: (ليس بالبين إقسام الرب تعالىٰ بالبقر والغزلان، **وليس هذا عُرف القرآن ولا عادته**، وإنما يقسم سبحانه من كل جنس بأعلاه، كما أنه لما أقسم بالنفوس أقسم بأعلاها وهي النفس الانسانية، ولما أقسم بكلامه أقسم بأشرفه وأجله وهو القرآن، ولما أقسم بالعلويات أقسم بأشرفها وهي السماء وشمسها وقمرها ونجومها، ولما أقسم بالزمان أقسم بأشرفه وهو الليالي العشر...)[1].

٥- طريقة القرآن وعادته.

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤ - ٦].

اُختلف في معنىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ علىٰ قولين[2]:

الأول: أنه النار.

الثاني: أنه أرذل العمر.

ورجَّح ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأول- مستدلا بطريقة القرآن وعادته-، فقال: (ثم لما كان الناس في إجابة هذه الدعوة فريقين: منهم من أجاب، ومنهم من أبىٰ؛ ذكر حال الفريقين، فذكر حال الأكثرين، وهم المردودون إلىٰ أسفل سافلين، والصحيح أنه النار)، ثم ذكر وجوها لترجيحه، منها قوله: (أرذل العمر لا يسمىٰ أسفل سافلين لا في لغة، ولا عرف، وإنما أسفل سافلين هو سجين الذي هو مكان الفجار، كما أن عليين مكان الأبرار)، ومنها أيضا قوله: (أنه سبحانه ذكر حال الإنسان في مبدأه ومعاده، فمبدؤه خلقه في أحسن تقويم، ومعاده رده إلىٰ أسفل سافلين أو إلىٰ أجر غير ممنون، وهذا موافق **لطريقة القرآن وعادته** في ذكر مبدأ العبد ومعاده، فما لأرذل العمر وهذا المعنىٰ المطلوب المقصود إثباته والاستدلال عليه؟)[3].

(١) التبيان في أقسام القرآن: ٧٣، ٧٤.

(٢) انظر: جامع البيان: ٢٤/ ٥١٣-٥١٥، وزاد المسير: ١٥٦٧.

(٣) التبيان في أقسام القرآن: ٢٩، ٣٠.

٦- الطريقة المعهودة في القرآن.

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (قال: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ ولم يقل المنعم عليهم كما قال ﴿ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم ﴾ أن هذا جاء علىٰ **الطريقة المعهودة في القرآن الكريم**، وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فيذكر فاعلها منسوبة إليه، ولا يبني الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدبا في الخطاب. وإضافته إلىٰ الله تعالىٰ أشرف قسمي أفعاله، فمنه هذه الآية، فإنه ذكر النعمة فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول، فقال: ﴿ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم ﴾، وقال في الإحسان ﴿ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾، ونظيره قول إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطعِمُنِى وَيَسقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضتُ فَهُوَ يَشفِينِ ۝٨٠ ﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٠] فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلىٰ الله تعالىٰ، ولما جاء إلىٰ ذكر المرض قال: ﴿ وَإِذَا مَرِضتُ ﴾ ولم يقل أمرضني، وقال: ﴿ فَهُوَ يَشفِينِ ۝٨٠ ﴾...)[1].

٧- المألوف من عادة القرآن.

مثاله:

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَدرَىٰكَ مَا ٱلعَقَبَةُ ۝١٢ ﴾ [البلد: ١٢].

اُختلف في العقبة علىٰ قولين[2]:

الأول: هي مثل ضربه الله لمجاهدة الناس والشيطان في أعمال البر.

والثاني: عقبة حقيقية في الآخرة يصعدها الناس في جهنم.

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٢٥٦.

(٢) انظر: تفسير السمعاني: ٤/ ٥٢٤، ومعالم التنزيل: ٤/ ٤٩٠، وزاد المسير: ١٥٥٣، والتفسير الكبير للرازي: ٣١/ ١٦٧.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فهذا القول- يعني أنها حقيقية- أقرب إلىٰ الحقيقة والآثار السلفية، **والمألوف من عادة القرآن** في استعماله "وما أدراك" في الأمور الغائبة العظيمة كما تقدم والله أعلم)[1].

❊ ❊ ❊

(١) التبيان في أقسام القرآن: ٢٨.

المبحث الثالث
تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

المطلب الأول: تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير.

تقدم أن من مهمات التفسير: معرفة عرف القرآن والمعهود من معانيه وأساليبه[١]، وقد نص ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أنه أصل من أصول التفسير، بل هو أهم أصوله[٢].

وقد ظهر جليا عند ابن القيم عنايته بتطبيق هذا الضابط في تفسير القرآن الكريم، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة، منها:

❖ قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ [مريم: ٦٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فالشيعة: الفرقة التي شايع بعضها بعضا، أي: تابعه، ومنه الأشياع أي: الأتباع، فالفرق بين الشيعة والأشياع: أن الأشياع هم التبع، والشيعة القوم الذين شايعوا، أي: تبع بعضهم بعضا، وغالب ما يستعمل في الذم، **ولعله لم يرد في القرآن** إلا كذلك كهذه الآية، وكقوله: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٢]، وقوله: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سبأ: ٥٤]، وذلك والله أعلم لما في لفظ الشيعة من الشياع، والإشاعة التي هي ضد الائتلاف والاجتماع، ولهذا لا يطلق لفظ الشيع إلا علىٰ فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم، والمعنىٰ: لننزعن من كل فرقة أشدهم عتوا علىٰ الله، وأعظمهم فسادا فنلقيهم في النار)[٣].

ففسَّر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لفظ الشيعة وبيَّن معناه بما هو معهود من معناه في

(١) انظر مطلب: أهمية معرفة "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه".
(٢) بدائع الفوائد: ٣/ ٥٣٧، ٥٣٨.
(٣) المصدر السابق: ١/ ١٦١، ١٦٢.

القرآن الكريم، وهو معنىٰ أغلبي[1].

❖ قولـــه تعـــالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ [الماعون: ٤ – ٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فالوعيد بالويل **اطَّرد** في القرآن للكفار، كقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ﴾ [فصلت: ٦])[2].

ففسَّر هنا السهو في الصلاة بتركها اعتمادا علىٰ المعهود من استعمال القرآن الكريم للفظ ويل في أغلب مواضعه.

القواعد التفسيرية التي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، والتي مبناها علىٰ النظر في معهود القرآن الكريم:

مما يحسن التنبه إليه في شأن اعتماد ابن القيم المعهود من معاني القرآن وأساليبه في التفسير أن لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قواعد تفسيرية مبناها علىٰ النظر في معهود القرآن الكريم، ومن هذه القواعد:

١- الأمر في عرف خطاب الشارع للتكرار[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ – بعد أن ذكر الأمثلة من القرآن علىٰ دلالة الأمر علىٰ التكرار-: (وذلك في القرآن أكثر من أن ينحصر، وإذا كانت أوامر الله ورسوله علىٰ التكرار حيث وردت إلا في النادر؛ عُلِم أن هذا عُرف خطاب الله ورسوله للأمة، والأمر وإن لم يكن في لفظه المجرد ما يؤذن بتكرار ولا فور؛ فلا ريب أنه في عُرف خطاب الشارع للتكرار، فلا يُحمل كلامه إلا علىٰ عُرفه، والمألوف من خطابه، وإن

(١) خرج من مواضع الذم قوله تعالىٰ: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥ ﴾ [القصص: ١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ ﴾ [الصافات: ٨٣]، والله أعلم. وقد تقدم الحديث عن هذه المسألة في صيغة: "لم يرد في القرآن" ص٣٠٧.

(٢) الصلاة وحكم تاركها: ٥٥.

(٣) انظر: القواعد التفسيرية عند ابن قيم الجوزية، عبد الباسط فهيم: ٢/ ٢٦-٣٣.

لم يكن ذلك مفهوما من أصل الوضع في اللغة)[١].

٢- اطَّرد استعمال لفظة: "ما يكون لك"، و "ما يكون لنا" استعمالها في المحرَّم[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وأما لفظة: "ما يكون لك"، و "ما يكون لنا" فاطَّرد استعمالها في المحرَّم نحو: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: من ١٣]، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ [الأعراف: من ٨٩]، ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ [المائدة: من ١١٦])[٣].

٣- "لا ينبغي" في لغة القرآن للمنع عقلا أو شرعا[٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقد **اِطَّرد** في كلام الله ورسوله استعمال (لا ينبغي) في المحظور شرعاً أو قدراً في المستحيل الممتنع)[٥].

(١) جلاء الأفهام: ٣٨٧.

(٢) انظر: القواعد التفسيرية عند ابن قيم الجوزية، عبد الباسط فهيم: ٢/ ٧٤-٨٣.

(٣) بدائع الفوائد: ٤/ ٨١٢، ٨١٣.

(٤) انظر: القواعد التفسيرية عند ابن قيم الجوزية، عبد الباسط فهيم: ٢/ ١٢٤-١٣٠.

(٥) إعلام الموقعين: ٤٣.

المطلب الثاني
تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الترجيح والاختيار

يلزم قبل البدء بذكر التطبيقات تعريف الترجيح والاختيار، وبيان الفرق بينهما.

الترجيح:

لغة:

الترجيح في اللغة مصدر رجَّح ترجيحـًا. وأصل مادة (رَجَحَ) في اللغة تدور حول الثِقل، والميل، والرزانة، والزيادة. و (الراء، والجيم، والحاء: أصل واحد، يدل علىٰ رزانة وزيادة. يقال: رَجَحَ الشيءُ، وهو راجح، إذا رَزَن)[1].

اصطلاحـًا:

هو تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية؛ لدليل، أو قاعدة تقويه، أو لتضعيف أو رد ما سواه[2].

الاختيار:

لغة: الاختيار في اللغة مصدر اختار يختار، و (الخاء، والياء، والراء: أصله العطف والميل)[3]، وخار الشيءَ واختاره: انتقاه، واخْتَرْت فلانـًا علىٰ فلان: عُدِّيَ بعلىٰ لأَنه في معنىٰ فَضَّلْتُ. والاختيار: الاصطفاء، وكذلك التَّخَيُّرُ[4].

اصطلاحـًا:

هو تقديم أحد الأقوال المقبولة في تفسير الآية لسبب معتبر[5]، مع قبول غيرها.

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس: ٢/ ٤٨٩، ولسان العرب لابن منظور: ٢/ ٤٤٥، مادة: (رَجَحَ).
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، د.حسين الحربي: ١/ ٣٥.
(٣) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس: ٢/ ٢٣٢.
(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور: ٤/ ٢٦٦، مادة: (خير).
(٥) اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير دراسة وموازنة من سورة الفاتحة إلىٰ آخر سورة الإسراء، د. محمد القحطاني: ٢٢.

الفرق بين الترجيح والاختيار:

إن كان في قول المفسر تقوية لأحد الأقوال في تفسير الآية لدليل شرعي أو قاعدة من القواعد التفسيرية، مع تضعيف أو رد لما سواه؛ فذاك هو الترجيح، وإن قدم أحد الأقوال في تفسير الآية لسبب معتبر، مع قبول غيرها؛ فذاك هو الاختيار.

والذي سرت عليه في هذا البحث هو النظر في كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فإن كان في كلامه ما يدل علىٰ تقويته لقول مع ردِّ غيره أو تضعيفه؛ عددته ترجيحا، وإن قوىٰ قولاً مع قبول غيره؛ عددته اختياراً.

القسم الأول
تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" في الترجيح

المثال الأول:

قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١].

اُختلف في المراد بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ علىٰ قولين[1]:

الأول: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، والكتاب هنا: اسم جنس يشمل التوراة والإنجيل.

الثاني: أنهم المؤمنون من أصحاب النبي محمد ﷺ، والكتاب: هو القرآن.

وضَعَّف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الثاني مستدلا بأن المعهود من القرآن يأباه، فقال: (اُختلف في الضمير في ﴿ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾، فقيل: هو ضمير الكتاب الذي أوتوه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويقرؤونه كما أنزل، ولا يحرفونه عن مواضعه[2]، قالوا: وأنزلت في مؤمني أهل الكتاب. وقيل: هذا وصف للمسلمين، والضمير في ﴿ يَتۡلُونَهُۥ ﴾ للكتاب الذي هو القرآن، وهذا بعيد؛ إذ **عُرْف القرآن** يأباه)[3].

وفي هذا المثال يظهر تطبيق ابن القيم لمعهود القرآن **ترجيحًا ورداً**، فرَجَّح هنا أن يكون المراد بأهل الكتاب مؤمنو أهل الكتاب، و أن الكتاب: اسم جنس يشمل التوراة والإنجيل؛ وذلك بمعهود القرآن في معنىٰ مصطلح "أهل الكتاب". وأيضا ردَّ

(١) القول الأول قول: ابن عباس رضي الله عنه، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل. والثاني قول قتادة، ونسب إلىٰ عكرمة. انظر: جامع البيان: ٢/ ٤٨٧، ومعالم التنزيل: ١/ ١١٠، والمحرر الوجيز: ١٣٠،١٢٩، وزاد المسير: ٨٦، والبحر المحيط: ١/ ٥٣٢.

(٢) انظر: جامع البيان: ٢/ ٤٨٩، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٩١.

(٣) مفتاح دار السعادة: ١/ ١٠٣.

قول من قال: هم المؤمنون من أصحاب النبي محمد ﷺ، والكتاب: هو القرآن؛ وذلك لمخالفته المعهود إذ **عُرْف القرآن** يأباه.

المثال الثاني:

قوله تعالىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ ﴾ الطارق: [٥ – ٨].

في مرجع الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿ رَجْعِهِۦ ﴾ قولان[(١)]:

الأول: أنه يعود إلىٰ الإنسان، ويكون المعنىٰ:

قادر علىٰ رده للحياة بعد موته.

أو علىٰ رده ماء كما كان قبل أن يخلقه منه.

أو رد الإنسان من حال الكبر إلىٰ حال الصغر.

الثاني: أنه يعود إلىٰ الماء، والمعنىٰ:

قادر علىٰ رد الماء إلىٰ الصلب، أو الإحليل.

أو حبس ذلك الماء فلا يخرج.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والقول الصواب هو الأول؛ لوجوه، وذكر منها:

أنه هو المعهود **من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ علىٰ المعاد.**

وأنه لم يأت للمعنىٰ الثاني في القرآن نظير في موضع واحد، ولا أنكره أحد حتىٰ يقيم سبحانه الدليل عليه.

وأن الارتباط الذي بين المبدأ والمعاد، والخلق الأول والخلق الثاني، والنشأة الأولىٰ والنشأة الثانية ارتباط من وجوه عديدة، ويلزم من إمكان أحدهما إمكان الآخر، ومن وقوعه صحة وقوع الآخر، فحسن الاستدلال بأحدهما علىٰ الآخر[(٢)].

(١) الأول قول: الحسن، وقتادة، والضحاك. والثاني قول: مجاهد، وعكرمة، وابن زيد. انظر: جامع البيان: ٢٤/ ٢٩٧-٣٠٠، والمحرر الوجيز: ١٩٦٧، وزاد المسير: ١٥٣٥، والبحر المحيط: ٨/ ٦٤٠، وتفسير القرآن العظيم: ٧/ ٥٣٨.

(٢) انظر هذه الوجوه وغيرها في التبيان في أقسام القرآن: ٦٥.

وفي هذا المثال يظهر تطبيق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمعهود القرآن **ترجيحًا ورداً**، فرَجَّح هنا القول الأول بمعهود القرآن في أسلوب الاستدلال بالمبدأ علىٰ المعاد، وذلك للارتباط الذي بين المبدأ والمعاد، والخلق الأول والخلق الثاني، والنشأة الأولىٰ والنشأة الثانية، فإنه ارتباط من وجوه عديدة، ويلزم من إمكان أحدهما إمكان الآخر، ومن وقوعه صحة وقوع الآخر، فحسن الاستدلال بأحدهما علىٰ الآخر.

وأيضا ردَّ القول الثاني لأنه لم يعهد في القرآن مثله، ولا نظير له في القرآن الكريم.

المثال الثالث:

قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين: ٤ - ٦].

اُختلف في معنىٰ: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ علىٰ قولين[1]:

الأول: أنه النار.

الثاني: أنه أرذل العمر.

ورجَّح ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأول- مستدلا بطريقة القرآن وعادته-، فقال: (ثم لما كان الناس في إجابة هذه الدعوة فريقين: منهم من أجاب، ومنهم من أبىٰ؛ ذكر حال الفريقين، فذكر حال الأكثرين، وهم المردودون إلىٰ أسفل سافلين، والصحيح أنه النار)، ثم ذكر وجوها لترجيحه، منها:

أنه سبحانه ذكر حال الإنسان في مبدأه ومعاده، فمبدؤه خلقه في أحسن تقويم، ومعاده رده إلىٰ أسفل سافلين، أو إلىٰ أجر غير ممنون، **وهذا موافق لطريقة القرآن وعادته في ذكر مبدأ العبد ومعاده**، فما لأرذل العمر وهذا المعنىٰ المطلوب المقصود إثباته، والاستدلال عليه؟

(١) القول الأول: "النار" قول: أبي العالية، ومجاهد، والحسن، وابن زيد. والثاني "أرذل العمر" قول: ابن عباس ﷺ، وعكرمة، والنخعي، وقتادة، والضحاك، والكلبي. انظر: جامع البيان: ٢٤/ ٥١٣-٥١٥، والنكت والعيون للماوردي: ٦/ ٣٠٢، والمحرر الوجيز: ١٩٩٠، وزاد المسير: ١٥٦٧.

وأن نظير هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الانشقاق: ٢٤ - ٢٥]، فالعذاب الأليم هو أسفل سافلين، والمستثنون هنا هم المستثنون هناك، والأجر غير الممنون هناك هو المذكور هنا، والله أعلم(١).

وفي هذا المثال رَجَّح ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يكون معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾: النار؛ وذاك لموافقته معهود القرآن من وجهين:

الأول: أنه موافق لطريقة القرآن في أسلوب الاستدلال بالمبدأ علىٰ المعاد، فإن الله تعالىٰ ذكر حال الإنسان في مبدأه ومعاده، فمبدؤه خلقه في أحسن تقويم، ومعاده رده إلىٰ أسفل سافلين، أو إلىٰ أجر غير ممنون، **وهذا موافق لطريقة القرآن وعادته في ذكر مبدأ العبد ومعاده.**

الثاني: أن نظير هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الانشقاق: ٢٤ - ٢٥]، فالعذاب الأليم هو أسفل سافلين، والمستثنون هنا هم المستثنون هناك، والأجر غير الممنون هناك هو المذكور هنا.

* * *

(١) انظر هذه الأوجه وغيرها في التبيان في أقسام القرآن: ٢٩- ٣١.

القسم الثاني
تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" في الاختيار

مثاله:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢﴾ [البلد: ١٢].

اُختلف في المراد بالعقبة علىٰ قولين[(١)]:

فالقول الأول: هي مثل ضربه الله لمجاهدة الناس والشيطان في أعمال البر.

والثاني: عقبة حقيقية في الآخرة يصعدها الناس في جهنم.

اختار ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الثاني، وقال عنه: (...أصح نظرا، وأثرا، ولغة)، وقال: (فكثيرا ما يقع في كلام السلف الوصية بالتَّضَمُّر[(٢)] لاقتحام العقبة. وقال بعض الصحابة وقد حضره الموت فجعل يبكي ويقول: مالي لا أبكي وبين يدي عقبة كؤود أهبط منها إما إلىٰ جنة وإما إلىٰ نار. فهذا القول أقرب إلىٰ الحقيقة والآثار السلفية، **والمألوف من عادة القرآن** في استعماله "وما أدراك" في الأمور الغائبة العظيمة كما تقدم والله أعلم)[(٣)].

ففي هذا المثال **اختار** ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسير العقبة بأنها حقيقية، لأسباب:

١- أنه أقرب إلىٰ القول بالحقيقة، أما القول الأول فهو من المجاز.

٢- لدلالة الآثار عليه.

٣- لمعهود القرآن في استعماله "وما أدراك" في الأمور الغائبة العظيمة، وهنا أمر غيبي عظيم من أمور الآخرة[(٤)].

---

(١) القول الأول هو قول: الحسن، ومقاتل. والثاني قول: عطاء، والكلبي، ومجاهد، والضحاك. انظر: جامع البيان: ٢٤/ ٤١٩-٤٢٤، وتفسير السمعاني: ٤/ ٥٢٤، ومعالم التنزيل: ٤/ ٤٩٠، وزاد المسير: ١٥٥٣، والتفسير الكبير للرازي: ٣١/ ١٦٧، وتفسير القرآن العظيم: ٧/ ٥٧١.

(٢) التضمَّر من الهزال، يقال: تضمَّر وجهه: انضمت جلدته من الهزال. انظر: لسان العرب: ٤/ ٤٩٢. والمقصود التخفف من الدنيا.

(٣) التبيان في أقسام القرآن: ٢٨.

(٤) هذه الآية مستثناة من الكلية: أغلب "وما أدراك" فقد أُخبر به وأعلم؛ لأنها لم تعقب ببيان بعدها. وقد =

والمتأمل في كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجده لم يرد قول من قال: هي مثل ضربه الله لمجاهدة الناس والشيطان في أعمال البر، ومما يدل علىٰ الاختيار والميل مع قبول القول الآخر: قوله: (فهذا القول أقرب إلىٰ الحقيقة والآثار السلفية)، فقوله: أقرب دال علىٰ الاختيار.

=

وردت "وما أدراك" ثلاث عشرة مرة في القرآن، منها: أربعة مواضع مستثناة، وهي مع ما تقدم: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ ﴾ [الحاقة: ٣]؛ لأنها أيضا لم تعقب ببيان بعدها، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ ﴾ [المطففين: ٨]، و ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ ﴾ [المطففين: ١٩]؛ لأن ما بعدهما ذكر للكتاب المرقوم، وهو -علىٰ أصح قولي العلماء- ليس تفسيراً لهما، أما بقية المواضع وعددها تسعة مواضع فقد جاء بيانها بعدها، والمواضع هي: [المدثر: ٢٧]، و [المرسلات: ١٤]، و[الانفطار: ١٧]، و [الانفطار: ١٨]، و [الطارق: ٢]، و [القدر: ٢]، و [القارعة: ٣]، و [القارعة: ١٠]، و [الهمزة: ٥]. انظر: كليات الألفاظ في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية، د.بريك القرني: ٢/ ٥٤٨-٥٥٨.

المطلب الثالث
تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" في تضعيف أقوال المفسرين.

كثير من الأمثلة التي مرت بتطبيقات ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمعهود القرآن في الترجيح تصلح أن تكون أمثلة أيضا لتضعيفه للقول المخالف للمعهود، ولذا جاءت أكثر تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تضعيف أقوال المفسرين التي تخالف معهود القرآن.

فإن قيل: لم أُفردت هذه التطبيقات بمطلب خاص وقد جاء ذكر تضعيفه لأقوال المفسرين عند الحديث عن تطبيقاته لمعهود القرآن في الترجيح؛ فالجواب: أن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد يُضَعِّف قولا تفسيريا في آية ما لمخالفته معهود القرآن، ثم يُرجِّح قولا بمرجح آخر، فلا يلزم أن يُرجِّح قولا في تفسير الآية بمعهود القرآن إن هو ضعَّف قولاً خالف المعهود. والمقصود من هذا المطلب ذكر الموضع الذي ضعَّف فيه ابن القيم قولا تفسيريا لمخالفته المعهود، ثم رجَّح قولا آخر بمرجحات وقرائن أخرىٰ غير معهود القرآن جاء ذكرها في كلامه، وهي:

ومثال ذلك:

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١].

في المراد بالمرسلات أقوال[1]:

الأول: الرياح.

(١) فُسِّرت المرسلات بالرياح وهو قول: ابن مسعود ﷺ، وإحدىٰ الروايتين عن ابن عباس ﷺ، وقول قتادة، ومجاهد، والكلبي. وفُسِّرت بالملائكة وهو قول أبي هريرة ﷺ، وابن عباس ﷺ في رواية مقاتل، ومجاهد، والسدي، ومسروق، وغيرهم. وفُسِّرت بالأنبياء وهي رواية عطاء عن ابن عباس ﷺ، والكلبي. وفُسِّرت بالسحاب وهو قول الحسن، وفسرت بالزواجر والمواعظ المتتابعة والمعروفة في العقول كما ورد في تفسير الماوردي. وانظر هذه الأقوال في: جامع البيان: ٢٣/ ٥٨٠-٥٨٢، والنكت والعيون للماوردي: ٦/ ١٧٥، ١٧٦، وزاد المسير: ١٥٠٢، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل: ٢٠/ ٦٠، ٦١.

الثاني: الملائكة.

الثالث: الأنبياء.

الرابع: السحاب.

الخامس: الزواجر والمواعظ المتتابعة والمعروفة في العقول.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فالإرسال المقسم به ههنا مقيد بالعرف، فإما أن يكون ضد المنكر، فهو إرسال رسله من الملائكة، ولا يدخل في ذلك إرسال الرياح، ولا الصواعق، ولا الشياطين، وأما إرسال الأنبياء فلو أريد؛ لقال: والمرسلين، وليس بالفصيح تسمية الأنبياء مرسلات، وتكلف الجماعات المرسلات **خلاف المعهود من استعمال اللفظ**، فلم يطلق في القرآن جمع ذلك إلا جمع تذكير لا جمع تأنيث...إلىٰ أن قال: لكن هنا أمرا ينبغي التفطن له، وهو أنه سبحانه جعل الأقسام في هذه السورة نوعين: وفصل أحدهما من الآخر، وجعل العاصفات معطوفا علىٰ المرسلات بفاء التعقيب؛ فصارا كأنهما نوع واحد. ثم جعل الناشرات كأنه قسم مبتدأ، فأتي فيه بالواو ثم عطف عليه الفارقات والملقيات بالفاء؛ فأوهم هذا أن الفارقات والملقيات مرتبط بالناشرات، وأن العاصفات مرتبط بالمرسلات. وقد اختلف في الفارقات، والأكثرون علىٰ أنها الملائكة، ويدل عليه عطف الملقيات ذكرا عليها بالفاء، وهي الملائكة بالاتفاق. وعلىٰ هذا فيكون القسم بالملائكة التي تنشر أجنحتها عند النزول، ففرقت بين الحق والباطل، فألقت الذكر علىٰ الرسل إعذارا وإنذارا. ومن جعل الناشرات الرياح؛ جعل الفارقات صفة لها، وقال: هي تفرق السحاب ههنا وههنا، ولكن يأبىٰ ذلك عطف الملقيات بالفاء عليها، ومن قال: الفارقات: أي القرآن يفرق بين الحق والباطل، فقوله يلتئم مع كون الناشرات الملائكة أكثر من التئامه إذا قيل إنها الرياح، ومن قال هي جماعات الرسل، إن أراد الرسل من الملائكة فظاهر، وإن أراد الرسل من البشر فقد تقدم بيان ضعف هذا القول. ويظهر والله أعلم بما أراد من كلامه أن القسم في هذه الآية وقع علىٰ النوعين: الرياح والملائكة، ووجه المناسبة أن حياة الأرض، والنبات، وأبدان الحيوان بالرياح؛ فإنها من روح الله، وقد جعلها الله تعالىٰ نشورا. وحياة القلوب والأرواح

بالملائكة، فبهذين النوعين يحصل نوعا الحياة، ولهذا والله أعلم فصل أحد النوعين من الآخر بالواو، وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء، وتأمل كيف وقع القسم في هذه السورة علىٰ المعاد والحياة الدائمة الباقية، وحال السعداء والأشقياء فيها، وقررها بالحياة الأولىٰ في قوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات: ٢٠]، فذكر فيها المبدأ والمعاد، وأخلص السورة لذلك، فحسن الأقسام بما يحصل به نوعا الحياة المشاهدة، وهو الرياح والملائكة، فكان في القسم بذلك أبين دليل، وأظهر آية علىٰ صحة ما أقسم عليه، وتضمنته السورة، ولهذا كان المكُذِّب بعد ذلك في غاية الجحود والعناد والكفر؛ فاستحق الويل بعد الويل، فتضاعف عليه الويل كما تضاعف منه الكفر والتكذيب...[1].

فظهر من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تضعيف تفسير المرسلات بالأنبياء، وذلك في قوله: (وأما إرسال الأنبياء فلو أريد لقال: والمرسلين، وليس بالفصيح تسمية الأنبياء مرسلات، وتكلف الجماعات المرسلات خلاف **المعهود من استعمال اللفظ، فلم يطلق في القرآن** جمع ذلك إلا جمع تذكير لا جمع تأنيث).

ثم رجَّح أن يكون المراد بالمرسلات الريح، وذلك بمرجحات وقرائن أخرىٰ غير معهود القرآن جاء ذكرها في كلامه، وهي:

أولها: يؤيد كونها الرياح عطف العاصفات عليها في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾﴾ [المرسلات: ٢] بفاء التعقيب والتسبب، فكأنها أُرسلت؛ فعصفت. ووصف الريح بالعصف حقيقة لا مجاز فيه.

الثاني: أن السياق يدل عليه، فالقسم في بداية السورة جاء بالرياح أولا في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾﴾ [المرسلات: ١ - ٢] فعطف المتجانسين بالفاء، ثم عطف ما ليس من جنسها وهي الملائكة بالواو في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾﴾ [المرسلات: ٣ - ٥]، ثم عطف

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن: ٩٠-٩٢.

عليه المتجانسين للملائكة بالفاء، وذلك للمناسبة بينهما إذ بهما يحصل نوعا الحياة؛ ولذا قال: (ويظهر والله أعلم بما أراد من كلامه أن القسم في هذه الآية وقع علىٰ النوعين: الرياح والملائكة، ووجه المناسبة أن حياة الأرض، والنبات، وأبدان الحيوان بالرياح؛ فإنها من روح الله، وقد جعلها الله تعالىٰ نشورا. وحياة القلوب والأرواح بالملائكة، فبهذين النوعين يحصل نوعا الحياة، ولهذا والله أعلم فصل أحد النوعين من الآخر بالواو، وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء).

الثالث: للمناسبة بين القسم بالرياح والملائكة وما تضمنته السورة من معاني.

قال ابن القيم: (وتأمل كيف وقع القسم في هذه السورة علىٰ المعاد والحياة الدائمة الباقية، وحال السعداء والأشقياء فيها، وقررها بالحياة الأولىٰ في قوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات: ٢٠]، فذكر فيها المبدأ والمعاد، وأخلص السورة لذلك، فحسن الأقسام بما يحصل به نوعا الحياة المشاهدة، وهو الرياح والملائكة، فكان في القسم بذلك أبين دليل، وأظهر آية علىٰ صحة ما أقسم عليه، وتضمنته السورة).

المطلب الرابع
تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" في رد الأقوال الباطلة

المقصود في هذا المطلب بيان اعتماد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه في رد الأقوال الباطلة لأهل البدع والأهواء، وهو مختلف عما سبق الحديث عنه من تضعيفه لبعض الأقوال التفسيرية، إذ المقصود هنا الأقوال الباطلة.

قال ابن القيم – في سياق ذكره لأنواع التأويل الباطل – : (اللفظ الذي اِطَّرد استعماله في معنىٰ هو ظاهر فيه، ولم يعهد استعماله في المعنىٰ المؤول، أو عهد استعماله فيه نادراً؛ فتأويله حيث ورد ، وحمله علىٰ خلاف المعهود من استعماله باطل...)[1].

ومن الأمثلة علىٰ ذلك: إبطال تفسير الاستواء بالاستيلاء لأن المعهود في القرآن اِطِّراد لفظ استوىٰ بلا لام.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

ولقد أتانا عشر أنواع من ** المنقول في فوقية الرحمن
مع مثلها أيضا تزيد بواحد ** ها نحن نسردها بلا كتمان
منها استواء الرب فوق العرش في ** سبع أتت في محكم القرآن[2]

(١) الصواعق المرسلة: ١/ ١٩٦. الفصل الثاني وهو انقسام التأويل إلىٰ صحيح وباطل.

(٢) قوله في سبع أتت في محكم القرآن هي: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ٢]، قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى =

وكـذلك اِطَّـردت بـلا لام ولـو ** كانـت بمعنـىٰ الـلام في الأذهـان
لأتت بها في موضع كي يحمل الـ ** بـاقي عليهـا بالبيـان الثـاني[1].

فقوله: وكذلك اِطَّردت بلا لام ولو... كانت بمعنىٰ اللام في الأذهان ... إلىٰ آخر الأبيات، يعني: أن لفظة استوىٰ اِطَّردت بلا لام، فلو كانت بمعنىٰ اللام لأتت باللام في بعض المواضع كي يحمل الباقي عليها، كما أنهم يضمرون في موضع ليُحمل الباقي عليه في مواضع أخر[2].

وقد بيَّن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المعنىٰ- في القسم الثاني: ما هو ظاهر في مراد المتكلم، ولكنه يقبل التأويل- بقوله: (فهذا يُنظر في وروده، فإن اطَّرد استعماله علىٰ وجه واحد؛ استحال تأويله بما يخالف ظاهره؛ لأن التأويل إنما يكون لموضع جاء نادرا خارجا عن نظائره منفردا عنها، فيؤول حتىٰ يرد إلىٰ نظائره، وتأويل هذا غير ممتنع؛ لأنه إذا عُرف من عادة المتكلم باطِّراد كلامه في توارد استعماله معنىٰ ألفه المخاطب، فإذا جاء موضع يخالفه؛ رده السامع بما عهد من عرف المخاطب إلىٰ عادته المطردة، هذا هو المعقول في الأذهان والفطر وعند كافة العقلاء، وقد صرح أئمة العربية بأن الشيء إنما يجوز حذفه إذا كان الموضع الذي ادعىٰ فيه حذفه قد استعمل فيه ثبوته أكثر من حذفه، فلا بد أن يكون موضع ادعاء الحذف عندهم صالحا للثبوت، ويكون الثبوت مع ذلك أكثر من الحذف، حتىٰ إذا جاء ذلك محذوفا في موضع عُلم بكثرة ذكره في نظائره أنه قد أزيل من هذا الموضع، فحمل

=

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [السجدة: ٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤].انظر: توضيح المقاصد، وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: ٣٩٧.

(١) قصيدة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: ٧٢، ٧٣.

(٢) توضيح المقاصد، وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسىٰ: ٣٩٧.

عليه، فهذا شأن من يقصد البيان والدلالة، وأما من يقصد التلبيس والتعمية فله شأن آخر، والقصد أن الظاهر في معناه إذا اطَّرد استعماله في موارده مستويا؛ امتنع تأويله وإن جاز تأويل ظاهر ما لم يطرد في موارد استعماله. ومثال ذلك اطِّراد قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] في جميع موارده من أولها إلىٰ آخرها علىٰ هذا اللفظ، فتأويله باستولىٰ باطل، وإنما كان يصح أن لو كان أكثر مجيئه بلفظ استولىٰ، ثم يخرج موضع عن نظائره ويَرد بلفظ استوىٰ، فهذا كان يصح تأويله باستولىٰ، فتفطن لهذا الموضع واجعله قاعدة فيما يمتنع تأويله من كلام المتكلم، وما يجوز تأويله)[1].

❊ ❊ ❊

(١) الصواعق المرسلة: ١/ ٣٤، ٣٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والحمد لله الذي أعان ويسر؛ فبلغت بفضله ومنِّه وكرمه خاتمة بحثي هذا، وفيما يلي أبرز نتائجه، وتوصياته:

❖ **النتائج:**

١- المراد بالمعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه: ما عُرِفَ متكرراً في القرآن الكريم من المعاني والأساليب، مُطَّرِدا كان، أو أغلبيا.

٢- يسمىٰ المعهود من استعمال القرآن الكريم: عُرْف القرآن، وعادات القرآن، ولغة القرآن، وطريقته، وغير ذلك.

٣- تظهر أهمية معرفة المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه **في أمور عدة:**

أولها: أن معرفة المعهود من معانيه واستعمالاته وأساليبه ضابط من ضوابط التفسير المهمة التي لابد منها للمفسر حتىٰ يتمكن من تفسير القرآن والكشف عن معانيه بالطريقة الصحيحة.

ثانيها: أهمية هذا الضابط في الترجيح والاختيار بين الأقوال التفسيرية، وكذا في تضعيف الأقوال التفسيرية المخالفة للمعهود من معاني القرآن وأساليبه.

ثالثها: لا بد من الرجوع عند تفسير الآية لطريقة القرآن والمعهود من معانيه لئلا يحدث معنىٰ جديدا.

رابعها: أن في معرفة المعهود من معاني القرآن وأساليبه ردا للأقوال الباطلة من أهل البدع والأهواء.

٤- مما يدل علىٰ عناية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمعهود من استعمال القرآن الكريم ورود كثير من الاصطلاحات والصيغ الدالة عليه في مؤلفاته، إذ يذكره تارة بصيغة واحدة، وتارة يذكر في الموضع الواحد صيغتين.

فالصيغ المنفردة: (المعهود في القرآن)، (المعهود من استعمال اللفظ في القرآن)، (عُرْف القرآن)، (طريقة القرآن)، (عادة القرآن)، (عادة خطاب القرآن)، (جرت عادته سبحانه باستعمال لفظ كذا في كذا في جميع القرآن)، (لفظ كذا حيث وقع في القرآن فالمراد منه كذا)، (لغة القرآن)، (اطَّرد في كلام الله استعمال كذا في كذا)، (المعروف في القرآن)، (الغالب في القرآن)، (بل المطرد)، (وهو نظير (يعني:

نظير هذا في القرآن))، (لا نظير لمعناه في القرآن)، (ولا عهد في القرآن ذلك)، (لم يُعرف القسم في القرآن بكذا)، (لم يرد في القرآن إلا بمعنىٰ كذا).

وما جمع فيه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين صيغتين: (المعهود من طريقة القرآن)، (عُرف المخاطِب)، (والمعهود في القرآن، المعهود المطرد)، (عُرف القرآن وعادته)، (طريقة القرآن وعادته)، (الطريقة المعهودة في القرآن)، (المألوف من عادة القرآن).

٥- ظهرت عناية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتطبيق المعهود من معاني القرآن وأساليبه في: التفسير، والترجيح - أعني به: إن كان في كلامه ما يدل علىٰ تقويته لقول مع ردِّ غيره أو تضعيفه- وفي الاختيار - أعني: إن قوىٰ قولا مع قبول غيره- وفي تضعيف أقوال المفسرين، ورد الأقوال الباطلة لأهل البدع والأهواء.

٦- جاءت أكثر تطبيقات "المعهود من معاني القرآن الكريم وأساليبه" عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الترجيح وتضعيف أقوال المفسرين التي تخالف معهود القرآن.

٧- قد يُضَعِّف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولا تفسيريا في آية ما لمخالفته معهود القرآن، ثم يُرجِّح قولا بمرجح آخر، فلا يلزم أن يُرجِّح قولاً في تفسير الآية بمعهود القرآن إن هو ضعَّف قولا خالف المعهود.

٨- جاءت تطبيقات ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمعهود القرآن موافقة للقول الصحيح إلا ما كان في مواضع قليلة[1].

❖ **التوصيات:**

١- يوصي البحث باستقراء جميع مواطن المعهود من معاني القرآن وأساليبه عند ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة علمية مع دراستها دراسة وافية.

٢- تبين للباحثة أثناء بحثها عناية عدد من المفسرين بمعهود القرآن، كالشنقيطي، وابن عاشور، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، مما يدل علىٰ أهمية دراسة مواطن المعهود عندهم في أبحاث مستقلة.

هذا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١) راجع صيغتي: "المعروف في القرآن" عند حديثه عن عرف القرآن في أهل الكتاب، وصيغة: "المعهود المطرد" عند قوله بإطِّراد استعمال الدعاء في القرآن بمعنىٰ دعاء السؤال والثناء.

المصادر والمراجع

أولا: الكتب:

١- **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أحمد ابن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢- **اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية**، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

٣- **أحكام أهل الذمة**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف أحمد البكري، شاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.

٤- **الإحكام في أصول الأحكام**، علي بن محمد الآمدي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٨٧هـ.

٥- **أحكام القرآن**، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٦- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٧- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن القيم، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٨- **البحر المحيط**، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٩- **بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية**، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه: يسرىٰ السيد محمد، راجعه ونسق مادته: صالح الشامي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٤ هـ.

١٠- **بدائع الفوائد**، ابن القيم، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

١١- **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
١٢- **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: يوسف عبد الرحمن مرعشلي، جمال حمدي الذهبي، إبراهيم عبد الله الكردي. دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
١٣- **بغية الوعاة**، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية ، بيروت.
١٤- **التبيان في أقسام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، دار الفكر.
١٥- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١٤٢٠،١هـ/ ٢٠٠٠م.
١٦- **تفسير القرآن العزيز**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
١٧- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. حكمت بشير ياسين، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣١هـ.
١٨- **تفسير القرآن الكريم، أصوله، وضوابطه**، أ.د.علي العبيد، مكتبة التوبة، الرياض، ط٢، ١٤٣٠هـ.
١٩- **التفسير الكبير**، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢١،١هـ.
٢٠- **تفسير المراغي**، أحمد مصطفىٰ المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٦٥هـ.
٢١- **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**، أحمد ابن إبراهيم ابن عيسىٰ (المتوفىٰ: ١٣٢٧هـ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ.

٢٢- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٣- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٤- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام**، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

٢٥- **حاشية ابن القيم علىٰ سنن أبي داود**، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

٢٦- **حاشية مقدمة التفسير**، عبد الرحمن ابن قاسم الحنبلي، ط٢، ١٤١٠هـ.

٢٧- **دراسات في علوم القرآن**، أ.د. فهد الرومي، ط١٩، ١٤٣٥هـ.

٢٨- **الدرر الكامنة**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم .

٢٩- **الذيل علىٰ طبقات الحنابلة**، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٠- **زاد المسير في علم التفسير**، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣١- **شذارت الذهب**، ابن العماد، المكتب التجاري، بيروت .

٣٢- **شرح مقدمة في أصول التفسير**، أ. د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٧هـ.

٣٣- **شفاء العليل شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.

٣٤- **الصلاة وحكم تاركها**، وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلىٰ أن يفرغ منها، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي - دار ابن حزم، قبرص، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣٥- **الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨ه.

٣٦- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٧- **عادات القرآن الأسلوبية**، د. راشد الثنيان، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ.

٣٨- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩- **قصيدة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ.

٤٠- **قواعد الترجيح عند المفسرين**، د. حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

٤١- **القواعد التفسيرية عند الإمام ابن قيم الجوزية**، عبد الباسط فهيم، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٣٦هـ.

٤٢- **ابن قيم الجوزية، حياته، آثاره، موارده**، بكر أبو زيد، دار العاصمة، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٤٣- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ،٢٠٠١م.

٤٤- **كليات الألفاظ في التفسير**، د. بريك القرني، ط١، ١٤٢٦هـ.
٤٥- **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م.
٤٦- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت.ط١،
٤٧- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٤٨- **مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، وابنه محمد، مكتبة المعارف.
٤٩- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٥٠- **معالم التنزيل**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد محمد العك. دار المعرفة، بيروت.
٥١- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر أيوب ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٢- **مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٥٣- **مقدمة في أصول التفسير**، ابن تيمية، اعتنىٰ به: فواز زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
٥٤- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد الزرقاني، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ.
٥٥- **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب.
٥٦- **الوابل الوابل الصيب من الكلم الطيب**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

٥٧- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
٥٨- **الوجيز في علوم القرآن العزيز**، أ.د. علي العبيد، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ.

ثانيا: الرسائل العلمية:

"اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير دراسة وموازنة من سورة الفاتحة إلىٰ آخر سورة الإسراء"، د. محمد بن عبد الله القحطاني، إشراف: إبراهيم بن سعيد الدوسري، دكتوراه، قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٩هـ.

"اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير دراسة وموازنة من أول سورة الكهف إلىٰ آخر القرآن الكريم"، د. محمد بن عبد الله الوزره، إشراف: أ.د. زاهر بن عواض الألمعي، دكتوراه، قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٩هـ.

"عرف القرآن والمعهود من معانيه واستعمالاته، وأثره في الترجيح الدلالي، دراسة تأصيلية وتطبيقية"، د. أحمد فالح الخالدي، إشراف: أ.د. محمد الشافعي، دكتوراه، قسم أصول الدين بكلية الشريعة في جامعة اليرموك، ٢٠٠٧م/ ٢٠٠٨م.

❊ ❊ ❊